خوارق الشفاء الصوفي والطب الحديث



الأستاذ الدكتور الشيخ

نهرو الشيخ محمد الكسنزان الحسيني

مؤسس المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية

خوارق الشفاء الصوفي والطب الحديث

دراسة مقارنة حول الشفاء الإعجازي
ونظرية الطب الشامل في الطريقة الكسنزانية

الأستاذ الدكتور الشيخ
نهرو الشيخ محمد الكسنزان الحسيني
مؤسس المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية

المؤلف : الأستاذ الدكتور الشيخ نهرو محمد عبد الكريم الكسنـــزان الحسيني

الطبعة : الأولى

التاريخ : 1427هـ – 2007 م

الناشر : دار القادري للنشر والتوزيع

سورية – دمشق – حلبوني – ص . ب : 10344

هاتف : 00963 11 2453775

فاكس : 00963 11 5233769

المطبعة : بيروت

مكتب المتابعة والإرشاد في الطريقة العلية القادرية الكسنـــزانية

موقع التصوف الإسلامي
www.islamic-sufism.com

موقع الطريقة العلية القادرية الكسنـــزانية
www.kasnazan.com

E-mil : kasnazan_web @yahoo.com
E-mil : webmaster@islamic-sufism.com
Phone : 009647703535447



اللهم
صل على سيدنا
محمد
الوصف والوحي والرسالة
والحكمة وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما

مقدمة

تقدم بعض الأدبيات الفكرية المعاصرة نظريات محدودة الأبعاد حول طبيعة الحضارة المعاصرة ، وتتلخص تلك المحدودية في محاولة ادلجة العقل العربي بوجه خاص والإسلامي بوجه عام على نمطية فكرية معينة تدور في فلك مادية الحضارة الغربية وخلوها التام من كل مقومات الحياة السليمة المتمثلة بمنظومة القيم الأخلاقية والمعايير الإنسانية المنصفة .

ان قولبة الفكر وتقييده بالأحكام المسبقة يحدد زاوية النظر وبالتالي البحث العلمي الدقيق في أي مادة بحثية مهما كانت ، ونحن حين نقول بذلك لا ننطلق من موقع المدافع عن الحضارة الغربية المعاصرة ، إذ إننا مؤمنون تماماً أن في جميع الحضارات الإنسانية جوانب ايجابية وأخرى سلبية ، ولا تخلو أي حضارة مهما كانت من كلا الأمرين . وما يرفع من شأن حضارة ويحط من شأن الأخرى هي نسبة الخير الذي يظهر في هذه الحضارة على نسبة الشر فيها وبالعكس. ومعنى ذلك ان الحضارة الغربية مثلا وبالرغم من كل النواقص والعيوب التي فيها ، فإنها حتماً تنطوي على خير كثير ، ينبغي علينا ان نتحراه وان ننشده لكي نكون كعامل مساعد يحفزه على الظهور فنفيد ونستفيد .

وأحد أهم الملامح الإيجابية في هذه الحضارة ، هو إتاحة الفرصة لأي حركة علمية بأن تأخذ دورها في البحث والعطاء للعلم والعالم ، ويمكن القول ان الحضارة التي تتهم بالمادية المحضة قد سبقت الحضارات الدينية بخطوات في مجال دراسة الظواهر التي توصف عادة بأنها روحية، والتي تقع خارج الإمكانيات التفسيرية والتعليلية للنظريات العلمية.

وفي هذا الاتجاه تمَّ إنشاء الكثير من المؤسَّسات ومراكز الأبحاث التي تهتم بتوثيق ما يُسمَّى بـالظواهر الروحية بشكل عام . ولقد تمَّ الشروع بدراسة هذه الظواهر غير المألوفة انطلاقًا من نظرة تتجاوز النظرة المادية الضيقة القاصرة التي سحرتْ أعين المشتغلين بالعلم المادي إلى الحدِّ الذي جعل هؤلاء يؤمنون بهذا العلم إيمانًا لا يُداخِله شك.

ومن الظواهر التي نالت اهتمامًا استثنائيًّا هي ظواهر (الشفاء الصوفي) والتي اصطُلِحَ على تسميتها بظواهر الشفاء غير الطبِّي non-medical healing ويشمل هذا التصنيف ظواهر الشفاء ، الكلّي أو الجزئي، لحالات مرضية ميئوس منها طبيًّا ، إضافة إلى الحالات التي يحدث فيها شفاء ، كلّي أو جزئي ، خلال مدة زمنية قصيرة بما لا يستطيع الطب التقليدي تفسيرُه . وقد عزى الباحثين سبب هذا الاهتمام الاستثنائي بظواهر الشفاء غير التقليدية إلى عاملين رئيسيين هما :

عامل الغرابة العالي الذي تتمتَّع به هذه الظواهر فيما يخصُّ تجاوزها للحدود العلاجية والشفائية التي يعمل ضمن أُطُرها ، من دون أن يقدر على تجاوزها ، الطبُّ التقليدي .

وكون هذه الظواهر في تماسٍ مباشر مع صحة الإنسان وحياته . وبالتالي ، فإنها تشكّل بوابة أمل للبشرية حين تواجه حدود الطبِّ التقليدي والتي يعجز في أحيان كثيرة عن علاجها . ولكي ندعم هذا التوجه في البحث المقارن بين العلاج بالطرق الطبية التقليدية وبين العلاج بالطرق الخارقة (غير الطبية) أو غير التقليدية ، نقدم هذه الدراسة ، آملين أن تساهم في رفد هذا الباب العلمي والذي نطمح ان يفتح على مصراعيه في جميع المجتمعات سواء أكانت شرقية

أم غربية .

وقد قسمنا هذه الدراسة إلى خمسة فصول :

تناول **الفصل الأول** نماذج الطب الرئيسية في العلم الحديث ، وقصور كل منها ، وحاجة العالم الملحة إلى نموذج طبي شمولي جديد يمكنه تجاوز النواقص الموجودة في النماذج التقليدية .

أما **الفصل الثاني** فقد تطرق إلى لمحة عن تاريخ الشفاء الخارق الذي شهدته الإنسانية عبر العصور المختلفة ، وعلاقة هذا النموذج من الشفاء بعلم التصوف ودعوته لنموذج طبي معاصر .

بينما تناول **الفصل الثالث** وبالتفصيل النموذج الشفائي الخارق الذي تتبناه الطريقة العلية القادرية الكسنزانية ، والإثباتات العلمية التي يمكن ان تؤكد مصداقيته .

وأما **الفصل الرابع** فقد خصص لبحث الجانب النظري المتعلق بتفسير ظواهر الشفاء الخارق من وجهات نظر مختلفة ، وبشكل خاص النظرية أو التحليل الذي قدمته الطريقة الكسنزانية لتفسير هذه الظواهر.

وقد خصص **الفصل الخامس** لذكر ثلاث نماذج آخر من الطب الصوفي في الطريقة الكسنزانية ، يمكنها ان تغطي أي مرض يمكن ان يصيب الإنسان في أي جانب من جوانبه المختلفة .

هذا ونسأل الله تعالى إن نكون قد وفقنا لما رمينا له والله ولي التوفيق .

الفصل الأول

نماذج علم الطب

(اللقاء والافتراق)

علم الطب بحسب تعريف القدماء هو علم يعرف منه أحوال بدن الإنسان ، من جهة ما يعرض لها من صحة وفساد[1] ، وهو قريب من التعريف الذي قال به جالينوس وهو انه علم تحفظ به صحة الإنسان ويسترد زائلها [2] .

ولكن ومع البساطة في التعريف ، والوحدة الغائية لدى معظم المهتمين في المجال الطبي والتي هدفها بشكل عام المحافظة على صحة الإنسان ، فأن مسيرة الطب كعلم كانت ولا زالت تواجه ثنائية (المادة- الروح) وهل ينبغي ان يقتصر البحث العلمي على النواحي البيولوجية ام يتعداه إلى النواحي النفسية ؟

وإذا اعترف بالنواحي النفسية وتأثيراتها على الأبدان ، فهل ينبغي عليه الوقوف عند هذا الحد أم يفترض به ان يتجاوزه إلى ما وراء العالم الإنساني ؟

وهو المستوى الذي يدخل في إطار الإيمان بالغيب والغيبيات أو ما يسمى بـ (حافة العلم) أي المستوى الذي يتجاوز نواحي الأشياء المادية إلى جوانبها الروحية (غير التقليدية) .

هذه الإشكاليات واكبت علم الطب خلال مراحله المختلفة فارضة نماذج متعددة ومتمايزة بعضها عن البعض الآخر ، الأمر الذي أدى في كثير من الأحيان الى تبني بعض النظريات والأفكار غير الدقيقة وألزم الطب بها وعدَّ ما

---

1 - الأنطاكي – النـــزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة - ج1 ص 34 .

2 - كلوديوس جالينوس : من قدماء الأطباء المبرزين ، ولد في مدينة (برغمش) من أرض اليونان في خريف عام (130) بعـــد الميلاد ، وقيل : عام (59) . له كتب كثيرة في الطب، منها: العلل والأمراض ، ومنها العصب ، مات سنة (200) بعد الميلاد . (طبقات الأطباء لابن جلجل ص41) .

انظر : النـــزهة المبهجة للأنطاكي 34/1 ، 35 .

يخرج عن أطرها ليس علميا .

واذا كنا نريد ان نطَّلِعَ على قضية (الطب والشفاء) بشقيه التقليدي وغير التقليدي فإن ذلك يلزمنا استعراض شيء من تلك النماذج في علم الطب ، ومواقف أهل العلم منها .

النموذج الأول

نموذج الطب التفاعلي

نظر القائلين إلى البدن فرأوا أنه يملك خصائص المادة من ثقل وكتلة وشكل وحجم وغير ذلك ، وهو يخضع لقوانين الفيزياء ، ولذا ذهبوا إلى اعتباره قطعة من المادة ، ونظروا إلى الفكر فرأوه مختلفا فقالوا بأنه (غير مادي) وقصدهم من هذه العبارة هو انه الفكر ليس له ثقل ولا كتلة ولا حجم انه لا يشغل حيزاً ولا يخضع لقوانين الفيزياء . فإن كان الفكر والمادة مختلفين هذا الاختلاف بحيث ليس لهما صفة واحدة مشتركة ، فكيف يؤثر أحدهما على الآخر إذن ؟ وكيف يحدث التفاعل بينهما فعلاً ؟

إن حجراً يمكن ان يسحق حشرة ، ذلك لأن الحشرة مثل الحجر لها كتلة ومادة ، ولكن كيف يمكن للحجر أن يؤثر على رغبة ؟

ان طول الذراع يمكن قياسه ، ولكن كيف يمكن قياس الإلهام الذي أدى إلى إنتاج السمفونية الخامسة لبتهوفن مثلا ؟

يصف رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس في جامعة لندن (جود) هذه الإشكالية بأنها المشكلة الأساسية التي يجب على جميع مدارس علم النفس ان تحاول حلها ، وقد ذهب إلى التأكيد على انه ما من مدرسة نفسية تمكنت من حلها حلاً موفقاً [1] .

كان الجدل حول المادي واللامادي قد انتشر وذاع بين الأوساط العلمية

---

1 - Joad، Guide To Modern، Thonght، P.36

والدينية منذ القرن السابع عشر واستمرت هذه المشكلة لغاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر الذي قام على نظرية شمولية تعامل الحالة الصحية للإنسان على أنها نتاج التفاعل بين عوامل مادية وأخرى غير مادية ، أي عوامل بايولوجية وأخرى عقلية وسيكولوجية (نفسية) ، وهكذا تكون نموذج طبي سمي فيما بعد باسم (النموذج التفاعلي) . ووفقاً للنموذج التفاعلي فإن دراسة أي حالة مرضية لا تقف عند حدود المظهر الجسمي البايولوجي فحسب ، بل تأخذ بنظر الاعتبار العوامل السيكولوجية والسلوكية للمريض والتي يمكن ان تكون ذات تأثير كبير على حالته المرضية ، وبالطبع فهي متغيرة من مريض لآخر، ولهذا ورد في مجلة بوسطن الطبية الجراحية عام 1858 : « نادراً ما يمكن معالجة أية حالتين مرضيتين بالأسلوب نفسه ... إن علاج كل حالة مرضية يتغير وفقاً لألف ظرف مختلف »[1] .

أي ان النموذج التفاعلي يدعو إلى معالجة الحالة المرضية من خلال دراسة الحالة العامة للمريض وليس بالتركيز على المرض نفسه.

---

warner – 1986-55 - 1

النموذج الثاني

نموذج الطب البيولوجي

مع نهاية القرن التاسع عشر بدأ الطب الغربي بالتخلي عن النموذج التفاعلي وتبنى بدلاً منه نموذجاً مبنياً على فلسفة الفرنسي رينيه ديكارت الذي يفصل بين الجسم والعقل باعتبار ان الجسم يمثل (الملموس والمادي) ، والعقل أو النفس يمثلان (غير الملموس واللامادي) ويفترض هذا النموذج بأن الجسم يمكن ان يؤثر على العقل وليس العكس .

احد أهم الأسباب التي وقفت وراء اللجوء إلى النموذج البيولوجي على حساب التفاعلي هو ان النموذج البيولوجي يتعامل مع عوامل مادية بحته كمسببات للمرض وهي قابلة للقياس، بخلاف النموذج التفاعلي الذي يتعامل مع عدد غير محدد من الأسباب تبعا لحالة المريض ، وبالطبع لا يمكن القياس عليها . وكما رفض النموذج الطبي البيولوجي التأثيرات السيكولوجية (النفسية) والعقلية على الحالات الجسمية ، ورفض كذلك ظواهر العلاج الخارقة لتهديدها الأسس التي تبنى عليها . ويبدو ان باحثينا لا زالوا يقفون أمام تلك الآراء القديمة وينسجون آراءهم عليها حول مادية الحضارة المعاصرة ، وعلى كل حال ، فسرعان ما انهار النموذج الديكارتي ولكن قومي لا يعلمون .

إذ بالرغم من ان النموذج البيولوجي حقق نجاحات كبيرة في علاجه للكثير من الحالات المرضية إلا انه فشل في ان يكون نموذجاً طبياً شاملاً ، اذ ظهرت محدوديته

من خلال فشله في تشخيص ومعالجة أمراض ذات أسباب سيكولوجية مثل الربو والقرحة . ومع تقدم الزمن بدأ الطب الغربي بالدخول في مرحلة جديدة من تاريخه تمثلت بعودة الاهتمام الكبير بالعقل والنفس وأثرهما في الحالة الصحية للإنسان .

وفي مطلع الثمانينات جاءت الضربة القاصمة للنموذج البيولوجي والدفعة القوية للنموذج التفاعلي من خلال ظهور العلم الجديد المعروف بعلم (المناعة العصبية السيكولوجية) إذ ظهرت بحوث تؤكد بأن جهاز المناعة عند الإنسان يمكن ان يتأثر بشكل كبير بحالته السيكولوجية والعقلية [1] .

ويمكن اختصار ما تقدم بالقول ان الحدود التي لم يستطع النموذج البيولوجي ان يتجاوزها ، حتمت ضمور هذا النموذج وعودة النموذج التفاعلي إلى الظهور مرة ثانية وهو المعتمد عليه في الوقت الحاضر .

حدود الطب التفاعلي

اذا كان النموذج البيولوجي يرفض بشكل قاطع أي تصور لما فوق المادة والماديات ، حتى انه عدَّ الفكر والنفس جزءا لا يتجزأ من العوامل المادية ، وعدَّ كل ادني تصور لما فوق الملموس هو جزء من الخرافة والدجل والشعوذة ، فإن النموذج التفاعلي بخلافه يملك أرضية واسعة من الانفتاح على الماوراء مكنته من تقبل العوامل غير الملموسة .. اذ لما كان النموذج التفاعلي يعترف بالتأثيرات النفسية على الحالة البيولوجية فقد حاول السير وبناءً على المقاييس المعتبرة عنده ان يفسر ظواهر العلاج غير التقليدية .

---

1 - aderk1981 ، hall et al 1992 ، levitan 1991 : 142 – 144

وهنا برزت حدود هذا النموذج ، اذ انه ألزم القائلين به في حدود نظرية محددة خلاصتها ان الشفاء غير التقليدي (الخارق) يحصل كنتيجة لتوقع واعتقاد المريض بالتأثيرات الايجابية لممارسات العلاج .

أي ان النموذج التفاعلي اعتبر ان ما يحدث خلال ظواهر العلاج غير التقليدية (الخارقة) : ان المريض في الواقع هو الذي يشفي نفسه وليس المعالج ، فكما ان جسم الإنسان مزود بالعديد من الميكانيزمات [1] البيولوجية اللاإرادية لوظائف علاج ذاتي ، كعلاج الجروح وقتل الجراثيم والفيروسات التي تهاجم الجسم، فإن ظواهر الشفاء التي لا تعتمد على العقاقير الكيمائية هي مظاهر لقدرات علاج ذاتي إلا ان تحفيزها ذي أصل غير بيولوجي بل سيكولوجي .

والسؤال هنا هو : هل يمكن لهذه النظرية ان تعطي تفسيرات لجميع ظواهر العلاج والشفاء الطبي في العالم الإنساني ؟

برأينا ان (النظرية التفاعلية) كسابقتها (النظرية البيولوجية) فنظرية الطب التفاعلي وان كانت قد توسعت في مجال التفسير والعلاج فتعاطت مع النواحي (النفسية والمادية) في الإنسان إلا انها فيما نرى وقفت على (حافة الحقيقة) كما وقف الطب البيولوجي على (حافة العلم) من قبل . وسبب هذا الوقوف هو إنها لم تستطع تجاوز حدود الملموس المادي والمحسوس النفسي إلى ما وراءه من القوى الفوقية ..

نحن نقول ان هذه النظرية وقفت على حافة الحقيقة لأنها لم تستطع الخروج من دائرة الفكر الإنساني المحدود إلى مجال الحقائق الدينية بما تنطوي عليه من

---

1 – الميكانيزمات : وهي الآليات والنظم .

خصائص وتأثيرات - توصف بالميتافيزيقية - في الحياة الإنسانية خشية الرجوع القهقرى إلى ما يسمى بالهرطقة والشعوذة والتي كانت شائعة في المحيط الغربي إبان القرون الوسطى ، فقيدت نفسها بالقوى السايكلوجية وأثرها في الشفاء الطبي .

وبغض النظر عن التأثيرات الدينية المستندة على حقائق الرسالة السماوية الحقة التي نقول بها وبين التأثيرات الأخرى التي تستند على قوى موجودة في الطبيعية ، فإن التطور العلمي نفسه اثبت قصور النظرة التفاعلية عن تفسير جميع الحالات الشفائية في علم الطب .

فمع تطور العلم المادي في النصف الثاني من القرن العشرين ومع الانفتاح الواسع الذي أحدثته ثورتي الاتصالات والمعلوماتية ، فضلاً عن التقدم التكنولوجي المتسارع ، وحدوث تلاقحات فكرية بين الحضارات الإنسانية المختلفة في شتى المجالات ، ومنها الموقف العلمي العالمي المتعلق بالقضايا المادية والروحانية ، « تم تجاوز الإدراك العقلي في التجريب وفهم الطبيعة في نظرية الكم . حيث ولدت هذه النظرية من التناقض الاختباري الذي اظهر سلوكين متناقضين للمادة ، احدهما يتخذ شكل الجسيمات المنطلقة بطاقة محددة ، والآخر يتخذ شكل موجات متصلة . وبين البحث العلمي - بعد ذلك - ان هذه الجسيمات يجب الا نتصورها كأشياء إنما هي عمليات لا يمكن تحديدها من دون ان نأخذ بعين الاعتبار تفاعلاتها مع العمليات الأخرى »[1] ، أي ان العلم الحديث تنازل عن فكرة ان للكون قوالب أساسية ثابتة (مادية أو نفسية) ، وانتقل إلى

1 – د . صلاح الجابري – خارقية الإنسان الباراسايكلوجي من المنظور العلمي – ص 188 .

مسألة ان قوانين المادة هي عبارة عن « تفاعلات مستمرة لعمليات مترابطة ، والتي هي في الحقيقة تجليات لنظام كلي موحد ندعوه الواقع »[1] .

وقد دُحض دور العلماء كملاحظين مستقلين ، وثبت ان الطريقة التي يشترطونها في دراسة الطبيعة تحدد ما يكونون قادرين على اكتشافه ، فيرى (فرنز هايزنبرغ) : أن ما نلاحظه ليس الطبيعة في ذاتها بل الطبيعة مكشوفة لطريقتنا في التساؤل ، بمعنى آخر ، ان الطبيعة هي انعكاس للطريقة التي تُصنِف بها عقولهم الملاحظة ، أو ان ما كانوا قادرين على إدراكه ليس الواقع بل تركيب مصاغ بشكل تقريبي يسقطونه على الواقع . والنتيجة التي خلُص لها (فرنز هايزنبرغ) هي ان العلماء ليسو موضوعيين بشكل مطلق ، بل ارتبطوا بعمليات الطبيعة التي يلاحظونها . فالعالِم ليس (أنا) مستقلة بل هو مرتبط بما هو قادر على إدراكه [2].

وما يلاحظ على الساحة العلمية المعاصرة ان البحث العلمي يتجه صوب الانفتاح على ثنائية (الذات - الموضوع) ، ويسعى حثيثا نحو محاولة توحيد النظريات الجزئية في نظرية واحدة لتفسير الكون ، الأمر الذي نعده خطوة مهمة باتجاه التقارب والتفاعل بين العلوم العقلية وبين العلوم الدينية والروحية . ولعل تجارب العالم الياباني (هـ . موتوياما) أوضح دليل على ذلك ، فقد حاول تطبيق الطريقة العلمية على الاعتقادات الصوفية والدينية .

موتوياما طبيب وعالم نفسي وروحاني في الوقت نفسه ، لذلك راقب التغيرات

---

1 - المصدر السابق – ص 188 .

2 - Ibid، p.23-24

الروحية والفسيولوجية التي تحدث أثناء ممارسته هو للرياضة والصيام وغيرها من الممارسات التي تهدف إلى تطهير العقل والنفس والجسد، والتي تفترض أن بإمكان الكائنات البشرية امتلاك طاقات أعظم بكثير من الطاقات المادية ، وان هذه الطاقات لا تمثل عاملاً أصيلا في تطورنا فحسب بل ذات أهمية في حتمية حفظ الجنس البشري.

وقد تطلب بحث موتوياما أشخاصا مارسوا تغيرات في الوعي نتيجة الممارسات الدينية الطويلة ولكونه رجل دين وعالم فقد سافر مسافات طويلة لكي يجد الأشخاص المناسبين.

وقد استخدم لأجراء أبحاثه أحدث الأجهزة المختصة ، كما اضطر إلى تصميم بعض الأجهزة لقياس الكهربائية البيولوجية في الجسم من دون ان يمس الجهاز جلد الشخص .

وكان خلاصة التجارب التي توصل إليها موتوياما تثبت علمياً ان اعتقادات الصوفية حول العالم اللامادي وتأثيرها على العالم المادي والتي رفضت سابقاً من قبل أكثر العلماء دون فحص أو اختبار تجريبي نراها - اليوم - تترسخ على قاعدة تجريبية ، وان المشاكل الميتافيزيقية التي برزت نتيجة البحث في حقيقة العقل أو الروح وعلاقته بالمادة أو الجسد ، أو ان هناك مستوىً روحانياً في الوجود لا يخضع لمقاييس المستوى المادي، أصبحت تجد لها حلولاً أو على الأقل طريقاً ممهداً للحل عبر الطريقة التجريبية التي يستخدمها العلم الحديث [1] ، أي ان القوى الخارقة أخذت طريقها لتكون من الحقائق العلمية المقررة ، لأن

---

1 – Motoyama & Brown: Op، p. 77-95

التجارب المختبرية تؤيدها تأييداً لا بأس به [1] .

وهذا يجعلنا ننظر إلى النموذج التفاعلي كنظرتنا للنموذج البايلوجي من حيث الوقوع في زاوية القصور عن إمكانية التعاطي مع جميع الحالات العلاجية والشفائية التي يمكن تسميتها بأنها فوق بايلوتفاعلية .

وتتبدى الحاجة الماسة إلى ضرورة فتح آفاق جديدة في البحث العلمي تستند في معطياتها على المناهج المعرفية الصوفية اضافة إلى المناهج التجريبية ، فهذا من شأنه ـ كما يرى كثيرون ـ ان يحقق قفزة هائلة في فهم الإنسان لذاته وللواقع الذي هو جزء منه [2] .

---

1 – د . علي الوردي – خوارق اللاشعور – ص 143 .

2 – د . صلاح الجابري – خارقية الإنسان الباراسايكلوجي من المنظور العلمي – ص 189.

النموذج الثالث

نموذج الطب فوق البايلوتفاعلي

إذا كان الطب البيولوجي يبحث في التأثيرات التي تحدث في الجسم استجابة لمؤثرات علاجية مادية كالعقاقير الكيمائية .

وإذا كان الطب التفاعلي يعتمد على نظرية العلاج الذاتي والتي تتضمن حدوث علاج للأمراض أو تحسن في الحالة الصحية للجسم من غير تدخل مؤثرات خارجية ، بل تعتمد على مؤثرات سيكولوجية (نفسية) كالتوقع والاعتقاد والفرح والحزن وغيرها .

فإن هناك نموذجا ثالثا من نماذج الطب لا يتم فيه الاعتماد على حالة المريض البدنية أو النفسية بل يعتمد بشكل كلي على قوة علاجية وشفائية يمكن تسميتها (فوق بايلوتفاعلية) أي قوة لا تعتمد على العقاقير ولا على الحالة النفسية والإيحائية للمريض بل على قدرة المعالج الخارق - إذا جاز التعبير- على علاج المريض بطريقة غير تقليدية .

في هذه الطريقة تنتقل التأثيرات العلاجية من بعض الأشخاص إلى منظومات بيولوجية وكائنات حيه أخرى ، من دون أي من وسائل الاتصال المعروفة .

ان هذه الطريقة في العلاج تقع خارج الحدود النظرية لكلا النموذجين البيولوجي والتفاعلي ، وقد تخصص بها أهل الروح من أصحاب الرسالات السماوية (الصوفية) وهو ما سنتناوله في الفصل التالي بالتفصيل ان شاء الله تعالى .

الفصل الثاني

التصوف
والشفاء فوق التقليدي
(الإعجازي أو الخارق)

اطلعنا في الفصل السابق على النماذج الطبية التقليدية (البيولوجية والتفاعلية) وأشرنا إلى النموذج الثالث (الخارق) والذي لم يثبت رسمياً لحد الآن وذلك لأسباب علمية واضحة وهي ان العلم الحديث لم يمتلك الأدوات العلمية القادرة على سبر غوره ومعرفة أسراره وبالتالي وضع النظريات العلمية في تفسيره .

ومن وجهة نظر الصوفية ان تمكن العلم من الوصول إلى حقائق الشفاء الخارق امراً يُعد مستحيلاً اذا بقي العلماء يعتمدون على مناهجهم ووسائلهم التقليدية في محاولة إدراك أمور يصنفها العلماء أنفسهم أنها ضمن قائمة العلوم غير التقليدية ، كعلم الباراسايكلوجيا أو الميتافيزيقيا أو العلوم الدينية التي تعتمد على العقائد الماورائية كالإيمان بوجود مخلوقات غيبية مثل الملائكة والجن وغيرها ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [1] .

ان الخطوة الأولى التي ينبغي على العلم الحديث ان يقدمها ليتمكن من استكشاف عالم الطب الخارق هي الإقرار بوجود قوة (غير مادية) خارج حدود النفس والعقل البشري ، يمكن ان يكون لها تأثير على ناحيتي الإنسان البايلوجية والسايكلوجية ، وربما الميتافيزيقية فيه .

وأما الخطوة الثانية فهي الإقرار بأن هذه القوة نابعة من مصدر رسالي سماوي إلهي ، أي ان مصدر هذه القوة هو ديني متعالي . خاصة و ان جميع

---

1 – النحل : 8 .

المشايخ الذين تظهر على أيديهم الخوارق الشفائية يؤكدون أنها ليست منهم وإنما هي من عند الله وهو الذي يشفي ، وما هم إلا وسطاء يقدمون دعواتهم وابتهالاتهم إلى الله وهو المشافي جل جلاله ، فهي إذا حالة متعالية على البشر ومن ثم لا تخضع لمفردات البحوث العلمية التقليدية .

والخطوة الثالثة تقتضي منهم ان يأخذوا بنظر الاعتبار التفسيرات التي يقدمها لهم أساتذة هذا العلم من مشايخ الطرق الصوفية .

ومن ثم يمكنهم ان يجروا الاختبارات التي تؤكد أو تنفي كل ذلك ، على ان تكون تلك الاختبارات والتجارب دائرة في إطار الفلك الموضوعي الذي يقدمه لهم مشايخ الطريقة .

وما لم ينظر العلم الحديث إلى هذه الخطوات أو الملاحظات ويتعامل معها بالجدية اللازمة فإن الحلقة العلمية بين الطب التقليدي والطب الصوفي الخارق تبقى مفقودة ، وجميع التفسيرات التي تقدم هي محض فرضيات لا تعدو كونها دوران حول الحمى ليس إلا .

والى أن يخطو العلم الحديث هذه الخطوة نحو الإلمام بالعلوم الخارقة بشكل عام وبالنموذج الطبي الخارق بشكل خاص ، نتقدم بعرض لآراء مشايخ التصوف الإسلامي ، وبشكل مبسط عن هذا العلم من حيث المنشأ والوسائل والآليات والغايات .

التصوف والخوارق

من المعروف ان هناك أنواع عديدة من التصوف في العالم، فهناك التصوف الهندي والتصوف البوذي والتصوف الفارسي والتصوف اليوناني وغيرها . هذا فضلاً عن تصوفات الشرائع الرئيسية المعروفة وهي التصوف اليهودي والتصوف المسيحي والتصوف الإسلامي طبعاً.

وما نتكلم عنه هنا هو التصوف العالمي شريطة ان يكون نازلاً من الله سبحانه وتعالى على عباده المخلصين ، فلا فرق من الناحية الصوفية بين المسيحي أو المسلم أو اليهودي اذا كانت صلة الربط سليمة وحقيقية بينه وبين الله سبحانه وتعالى ، فأي صوفي على أي رسالة سماوية في أي زمن من الأزمان هداه الله واجتباه يمكن ان تظهر عليه صفات خارقة تؤكد تلك الصلة وتدل عليها .

وإذا أردنا التعمق أكثر في هذا الموضوع فينبغي علينا ان نعطي تعريفاً مبسطاً لعبارة (الشفاء الصوفي) أولاً ، ولمحة عن تاريخ هذا الشفاء وبعض القضايا التي تكشف حقيقة هذا العلم ومدى معرفة أساتذته به وتعاملهم معه ونماذج تطبيقية عنه .

التعريف بالشفاء الصوفي

الشفاء الصوفي : هو ذلك الشفاء الفوري الذي يحصل للمريض أو المصاب بحالة طارئة في نفسه أو بدنه بالاعتماد على الجانب الروحي للدين السماوي ، أي على معجزات الأنبياء أو كرامات الأولياء من غير الاعتماد على وسائل العلاج التقليدية .

والسبب الذي لأجله استخدمنا لفظة (الصوفي) مع هذا النوع من الشفاء دون غيرها من الألفاظ كأن يكون (الشفاء الخارق) أو (الشفاء المعجز) أو غير ذلك ، فلأننا نرى ان القاسم المشرك في جميع ظواهر الشفاء الخارقة على أيدي الأنبياء والأولياء هو نتيجة تحققهم بمقدرة روحية خاصة تفوق القدرة البشرية العادية ، وهذه القدرة - اذا جاز التعبير- لا تأتي للإنسان إلا إذا كان صوفيا سواء أكان ذلك التصوف من طريق الاصطفاء أو من طريق الكسب والمجاهدة المتعارف عليها عند أهلها . أما غير ذلك من أساليب الشفاء التي تعتمد على طرق غير دينية كالطقوس والشعائر التي كانت تمارس في المعابد القديمة أو عند الشعوب البدائية أو بأي وسيلة أخرى من سحر أو شعوذة أو غيرها ، فهو لا يدخل ضمن مصطلح (الشفاء الصوفي) لا في بحثنا هذا ولا في كل توجهاتنا .

لمحة عن تاريخ الشفاء الصوفي

إذا كنا قد قررنا في تعريفنا ان (الشفاء الصوفي) هو أما معجزة نبي أو كرامة ولي ، فلا شك ان تاريخ هذا النوع من الشفاء يمتد خلال الفترة التاريخية التي تمتد من نبي الله آدم عليه السلام والى يوم الناس هذا ، لأن عمر البشرية لم يخلوا من نبي أو ولي ، وبالتالي فيندر ان يوجد زمان بدون ان تكون فيه آثار خارقة دالة على الحضور الإلهي والرسالي ، وبالطبع فإن احد أنواع تلك الظواهر الخارقة ، ظاهرة (الشفاء) التي تحدث بطريقة غير تقليدية .

ومن بين ذلك التاريخ الطويل لظواهر الشفاء الخارقة خلال العصور المتعاقبة يمكن ان نلمس ظاهرة (الشفاء الصوفي) بشكل واضح وجلي ، في رسالتين كبيرتين على مستوى العالم وهما : الرسالة المسيحية والرسالة الإسلامية .

أما في المسيحية فقد اتفق كل من الأناجيل والقرآن الكريم على ان السيد المسيح عليه السلام كان قد اشتهر بقدرته على (الشفاء الخارق) بشكل واسع ، ويكفي في ذلك ان نذكر قوله تعالى في القرآن الكريم على لسان عيسى عليه السلام في القدرات المعجزة التي أظهرها الله تعالى بين يديه ومنها قدرة الشفاء الخارق حيث يقول سبحانه : ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ...

الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] .

فهنا ثلاث قدرات مهمة :

الأولى : قدرة الخلق (إيجاد حياة)

الثاني : شفاء فوري وخارق لأمراض مستعصية العلاج حتى في الطب الحديث أحياناً .

الثالثة : إحياء الموتى (إعادة الحياة) .

وإذا انتقلنا إلى الدين الإسلامي فإننا سنجد من شواهد (الشفاء الصوفي) بين يدي حضرة الرسول الأعظم ﷺ ما يصعب حصره ، وقد اخترنا منه المعجزات الآتية :

- روى البخاري ومسلم وغيرهما : أن رسول الله ﷺ أعطى الراية علياً يوم خيبر ، وكان رمداً ، فلما نفث في عينه ، أصبح ترياقاً لعينه ، فبرئت بإذن الله [2] .

- قطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء ، فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله والصقها ، فلصقت [3] .

- أصيبت ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت، فمسحها رسول

1 – آل عمران : 49 .

2 – صحيح البخاري – ج 4 ص 1542 برقم 3973 ، صحيح مسلم ج4 – ص 1871 برقم 2404

3 – القاضي عياض – الشفاء – ج1 ص 324 .

الله ﷺ فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه [1] .

- روى ابن ابي شيبة وهو من أئمة الحديث أنه : « أتته ﷺ امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم ، فأتي بماء ، فمضض فاه ، وغسل يديه ، ثم أعطاه إياه ، وأمرها بسيفه ومسه به ، فبرء الغلام وعقل عقلاً يفضل عقول الناس »[2] .

وهكذا فهناك أمثلة غزيرة تربوا على الألف مثال كهذه التي ذكرناها ، وقد بينت في كتب الحديث والسير معظمها .

لقد كانت اليد المباركة للرسول الكريم ﷺ كأنها صيدلية لقمان الحكيم ، وبصاقه كأنه ماء عين الحياة لخضر عليه السلام ، ونفثه كأنه نفث عيسى عليه السلام في الشفاء ، وان بني البشر يتعرضون للمصائب والبلايا ، فلا ريب أنه قد أتى إليه ﷺ ما لا يحد من المرضى والصبيان والمجانين ولاشك إنهم قد شفوا جميعا من أمراضهم وعاهاتهم . حتى ان طاووس اليماني وهو من أئمة التابعين يخبر جازماً فيقول : ما من مجنون جاء إلى النبي ﷺ ووضع يده الشريفة على صدره إلا شفي جنونه [3] .

وقد كان لأولياء الأمة المحمدية من الكرامات الشفائية (خوارق الشفاء الفوري) ما يفوق التصور والخيال ، ومنها ما روي عن الشيخ الفاروقي أنه كان اذا جاءه المجذوم يسأله الدعاء بالشفاء ، فسقاه ماء وضوئه فيشفى في الحال .

ومنها ما ذكر عن الشيخ الحبيب العجمي أنه جاءه رجلٌ فاشتكى وجعاً في رجله وسأله أن يدعو له وكان في مجلسه فلما تفرق الناس أخذ المصحف وعلقه في عنقه ، وقال : يا الله لا تسود وجه حبيب ، ثم قال : اللهم عافه حتى ينصرف ولا يدري في أي

---

1 - أخرجه الامام البغوي ، والقاضي عياض في الشفاء – ج1 ص 323 .

2 - مصنف ابن أبي شيبة - ج 5 ص 48- حديث برقم 23584 .

3 - سعيد النورسي – المعجزات الاحمدية – ص 103 .

رجليه كان الوجع ، فوجد الرجل العافية في الحال فسألوه في أي رجلك كان الوجع ، فقال لا أدري [1] .

ويروى ان رجلا قال له : لي عليك ثلاثمائة .

قال : من أين ؟

قال : قال لي عليك .

قال : اذهب إلى غد ، ثم قال : اللهم إن كان صادقا فأد إليه دينه وإلا فابتله في بدنه ، فجيء به محمولا مفلوجا ، فقال : التوبة .

فقال الحبيب : اللهم إن كان صادقا فعافه ، فكأنما نشط من عقال[2] ، أي شفي من فوره .

ومنها ما ذكر عن محمد بن علي بن الدويلة (ت827 هـ) من أنه كان يمسح موضع الألم بيديه فيبرأ المريض.

ومنها ما نسب إلى الشيخ حياة بن قيس الحراني أنه وضع يده على عين مطفأة ، فعادت صحيحة ، وعاد الرجل يبصر بها [3] .

ومنها ما ذكر من ان رجلا قال : كنت مصاباً بتشمع الكبد سنة (1967 م) فراجعت الأطباء مدة طويلة ولكن دون جدوى وكان والدي أحد مريدي الشيخ عبد الكريم الكسنزان قد بلغ من العمر ما يزيد على الثمانين وهو رجل متصوف قال لي يوماً :

---

1 - الشيخ يوسف النبهان – جامع كرامات الأولياء – دار صادر – بيروت - ج 1 ص 92 .

2 - المصدر السابق - ص 387 .

3 - د. عبد الستار عز الدين الراوي – التصوف والباراسايكلوجيا – ص 85 .

يا ولدي اطلب الاستمداد من روح الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان واقرأ له سورة الفاتحة هدية لروحه الطاهرة ففعلت ما أمرني به والدي ونمت في تلك الليلة فرأيت رجلاً يقول لي لِمّ ناديتني يا بني ؟

قلت له : من أنت ؟

قال لي : أنا الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان ثم مسح بيده على بطني وقال لي قم مشافى معافى بأذن الله فاستيقظت من النوم ولم يبقّ بي من أثر المرض الخطير شيء [1] .

ومن كرامات الشيخ السلطان حسين الكسنزان (قدس الله سره) أنه أمر أحد مُريديه المسمى (عزيز) بالذهاب إلى الموصل من أجل الإرشاد ولكن هذا المُريد الفقير تحدث في قلبه مع حضرة الشيخ حسين يتعذر بحاله وضعفه وعدم معرفته باللغة العربية ولا الطريق إلى الموصل ومع ذلك جاء التكليف بالذهاب واصطحاب مُريداً آخر معه كان أعرجاً واضعف منه ، مما زاد الأمر تعقيداً وحرجاً عليه ، لم يكن السفر في ذلك الوقت ميسور الوسائط ولا الطرق معبدة وإنما سيراً على الأقدام أو ركوباً على الدواب ولكنهما وصلا إلى الموصل بسهولة ويسر ، وهكذا أمر الله لمن أراد أن يسير طريق الإرشاد ، وأخيراً استقر بهم المقام مع رجل فقير في دار خربة وكان جار ذلك الفقير من النصارى فيهم امرأة عجوز مصابة بمرض الزمها الفراش لأكثر من عشر سنوات ، ولما علموا بقدوم هذين المُريدين سألاهما الدعاء لشفاء مريضتهم وان يدفعوا لهم خمسين ليرة ذهبية ، فقالا لهم إنما أعمالنا لوجه الله تعالى ولا نريد جزاءً ولا شكوراً وحال جلب

---

1 – السيد الشيخ محمد الكسنـــزان الحسيني – الطريقة العلية القادرية الكسنـــزانية – ص 363 .

العجوز ضربها الخليفة بالعصا طالباً المدد من حضرة الشيخ حسين (قدس الله سره) فقامت في الحال بإذن الله مشافاة [1] .

ومن كرامات الشيخ السلطان حسين الكسنزان (قدس الله سره) أيضاً ما حدث لرجل من أهالي اسطنبول في تركيا كان مريضاً بداءٍ لم تنفع معه مراجعة الأطباء في أكثر العواصم الأوربية وفي ذات ليلة جاءه رجل في الرؤيا يقول : تعال إلى (كربجنة) في العراق وعندما تدخل في طريقتنا ستشفى ، وعندما استيقظ في نومه ، قرر أن يشد رحاله وجاء إلى (كربجنة) ، فلما وصل إليها ورأى حضرة السلطان حسين (قدس الله سره) جالساً مع مُريديه أنكب على يده يقبلّها قائلاً : أنت الذي ناديتني فجئت .

فقال له الشيخ (قدس الله سره) : لقد آن لك أن تأخذ البيعة (الطريقة) وتدخل الخلوة أربعين يوماً ، فيستجيب الرجل لكلام الشيخ ولم تمض فترة طويلة حتى تماثل للشفاء [2] .

هذا فضلاً عما روي عن الصحابة رضوان الله عليهم من كرامات شفاء خارقة ، ومنها ما روي عن الإمام علي بن أبي عليه السلام أن واحداً من محبيه سرق وكان عبداً أسود فأتى به إلى الإمام علي عليه السلام فقال : له أسرقت ؟

قال : نعم .

فقطع يده ، فانصرف من عنده فلقيه سلمان الفارسي رضي الله عنه وابن الكواء فقال ابن الكواء : من قطع يدك ؟

---

1 – المصدر نفسه – ص 371 .

2 – المصدر السابق – ص 372 .

فقال : أمير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول وزوج البتول .

فقال : قطع يدك وتمدحه ؟

فقال : ولم لا أمدحه وقد قطع يدي بحق وخلصني من النار ، فسمع سلمان رضي الله عنه ذلك فاخبر به علياً عليه السلام فدعا الأسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات ، فسمعنا صوتاً من السماء ارفع الرداء عن اليد ، فرفعناه فإذا اليد قد برأت بإذن الله تعالى [1] .

ومنها ما روي عن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه حاصر حصناً منيعاً فقالوا : لا نسلم حتى تشرب السم ، فشربه ، فلم يضره [2] .

ومنها ما روي عن (الزبيرة) أنها عذبت على الإسلام في الله حتى ذهب بصرها ، فقال المشركون : أصاب بصرها اللات والعزى ، فقالت : كلا والله ، فرد الله عليها بصرها [3] .

ومنها ما روي عن (أبو مسلم الخولاني) من ان الأسود العنسي طلبه لما ادعى النبوة ، فقال له : أتشهد اني رسول الله ؟

قال : ما اسمع .

قال : أتشهد أن محمد رسول الله ؟

قال : نعم .

فأمر بنار فالقي فيها ، فوجدوه قائماً يصلي فيها ، وقد صارت عليه برداً وسلاماً .

---

1 - الشيخ يوسف النبهان – جامع كرامات الأولياء - ج 1 ص 388 .

2 - ابن تيمية – الفرقان – ص 121 ، وكذلك البزاز – الأعلام العليه في مناقب ابن تيمية – تحقيق زهير الشاويش – المكتب الإسلامي– ص 62 .

3 - المصدر نفسه .

ولما قدم المدينة بعد انتقال رسول الله ﷺ ، أجلسه (عمر) بينه وبين أبي بكر الصديق ﷺ ، وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله [1] .

ويروى ان جارية وضعت له السم في طعامه ، فلم يضره [2].

وكذلك يروى ان امرأة أفسدت عليه زوجته ، فدعا عليها فعميت ، وجاءت وتابت ، فدعا لها ، فرد الله عليها بصرها [3] .

ومنها ما روي عن (عبد الواحد بن يزيد) من أن شللا أصابه ، فسأل ربه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء للصلاة ، فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاءه ، ثم تعود بعده [4] .

وهكذا نجد ان ظاهرة الشفاء الروحي (الصوفي) في الأديان تأخذ عبر التاريخ مساحة كبيرة لا يمكن نكرانها بل شواهدها تزداد كل يوم حتى الوقت الحاضر ، وهو ما يمكن لأي باحث ان يجده بكل جلاء ووضوح في الطريقة الكسنزانية كنموذج حي وواقعي على خلود القوة الروحية للرسالة المحمدية في العالم الإنساني .

1- المصدر السابق – ص 62 .

2- المصدر نفسه – ص 62 .

3 – المصدر نفسه – ص 62 .

4 – المصدر نفسه – ص 62.

الفصل الثالث

الشفاء الصوفي (الإعجازي)
في العصر الحديث

لعل الفرق الوحيد بين الحقيقة العلمية والأساطير الشعبية هو إمكانية تحقق الأولى بتكرارية تضمن إجراء التجارب والاختبارات الكافية لتعلن مصداقيتها كواقع ملموس ، بخلاف الخرافات والأساطير التي هي مجرد حكايات من نسج الخيال . وإذا كان العلم الحديث يريد ان يتبنى البحث في ظواهر الشفاء الخارق بجدية علمية ، فهو يشترط أولاً ان يتوفر لديه نموذج واقعي - وليس تاريخي أو روائي ديني أو شعبي - يتوفر فيه شرط التكرارية التي تعطي النتائج نفسها وشرط إمكانية إجراءها في ظروف وأماكن وازمان مختلفة ، وذلك لأجراء الاختبارات اللازمة والتجارب التي تقطع من الناحية العلمية بمصداقية حدوث تلك الظواهر وواقعيتها أولاً، ومن ثم محاولة تفسيرها ومحاولة توسيع دائرة العمل بها للإفادة منها على مستوى لا ينحصر في طائفة أو فئة معينة ثانيا . فهل يتوفر مثل هذا النموذج بمثل هذه الشروط في هذا العصر ؟

رغم ان الظواهر الباراسايكلوجية تنتشر في شرق الأرض وغربها إلا ان النموذج المقترح في هذا المجال والذي يحقق الشروط المطلوبة بكفاءة عالية نجده في التصوف الإسلامي وتحديداً في الطريقة الكسنزانية ، ولهذا سنعتمدها كنموذج لعرض القدرات الشفائية الخارقة بشتى أنواعها مع التطرق لذكر أهم النواحي التي تساعد على التقارب الفعلي بين العلم والدين .

نموذج الخوارق الشفائية
في الطريقة العلية القادرية الكسنـزانية

مما اشتهرت به الطريقة الكسنـزانية هو قدرة أتباعها على القيام بفعاليات خارقة للعادة ، كضرب احدهم لنفسه بالرصاص أو إدخال أدوات حادة كالأسياخ والخناجر في أجسامهم أو تعريض أجسامهم للهب النار الحارق أو لسم الأفاعي والعقارب وفي العصر الحديث لصعقات التيار الكهربائي أو غيرها من الفعاليات دون ان يتأذى احدهم بأدنى أذى حيث تشفى جروحهم وتقاوم أجسامهم الآلام المختلفة بطريقة لا يمكن وصفها بأقل من الخارقة للعادة [1] .

وفيما يلي شرح مبسط لأهم فعاليات الضرب بالأدوات الجارحة أو غيرها والتي تمارس في الطريقة الكسنـزانية ، ونتائج الأذى الجسمي المتوقع حصوله بسببها من الناحية الطبية التقليدية (بايلوجي أو تفاعلي) في الوقت الذي تكون النتائج الفعلية الحاصلة نتيجة تلك الضربات هو شفاء فوري وتام بطريقة خارقة لكل القوانين الطبيعية الفيزيائية والكيمائية .

---

1 – لكون الطابع الغالب على الفعاليات الخارقة في الطريقة الكسنـــزانية هو ان يقوم المريد بضرب نفسه بشيء كالآلة الجارحة أو تعريضها لشيء كالنار أو السم أو الكهرباء ، فسوف نطلق عليها مصطلح (فعاليات الضرب) وهو مصطلح دارج عند عامة الناس وأهل الطريقة على حد سواء .

النوع الأول : فعاليات ضرب الجسم بأدوات جارحة

الأدوات المستخدمة :

الأسياخ ، الخناجر ، السيوف ، العصي الخشبية ، طلقات الرصاص من الكلاشنكوف أو المسدس أو الغدارات .

أجزاء الجسم التي يتم الضرب فيها :

الخدين ، اللسان ، قاعدة الفم ، شحمة الأذن ، الذراع، عضلات الصدر ، البطن ، جمجمة الرأس ، العين ، الرقبة ، عظم الترقوة ، وأماكن أخرى .

النتائج المتوقعة :

- الآلام الكبيرة في الحالات المماثلة .
- النزيف الدموي .
- الالتهابات

النتائج الفعلية الحاصلة :

- مناعة خارقة ضد الآلم مهما كان بسيطاً .
- مناعة خارقة ضد النزيف الدموي ، فلا يخرج من كل أنواع الضربات الجارحة سوى بضع قطرات من الدم ، وهذه القطرات القليلة أو الخيط الرفيع الذي قد يسيل من الجرح يعتبره مشايخ الطريقة أمراً في غاية الأهمية لأنه دليل قاطع على حصول الضربة بالفعل ، وهو بذلك يدفع التشكيك بها على انها ممارسات من نوع خفة اليد أو الألعاب السحرية .

- مناعة خارقة ضد الالتهابات ، فالمتوقع طبيعياً ان تحصل التهابات كبيرة خاصة ان الأدوات المستخدمة غير معقمة ولكن ما يحصل أن المريد لا يصاب بأدنى الالتهابات.

ملاحظات أخرى :

- الأجزاء المعدنية غير معقمة ، ذات أقطار أو اسماك مختلفة .

- الأغرب من كل قدرات المناعة الخارقة التي يكتسبها الجسم أثناء تأدية فعالية الضرب ، هو السرعة العجيبة التي تشفى بها تلك الجروح ، بغض النظر عن موضع الضربة في الجسم وحجمها .

فالفحص الدقيق لكل أنواع الضربات الجارحة - بلا استثناء - يكشف بأن جميع الجروح مهما كانت وأينما كانت في جسم المريد ، سرعان ما تشفى حيث تلتئم الجراح وتختفي الآثار حتى لتكاد لا تبين وذلك بمجرد اخراج الآلة الجارحة من الجسم ، والفترة الزمنية التي قيست للشفاء التام لهذه الضربات هو من (15 - 20 ثانية) .

وهنا من المهم التأكيد على ان فورية شفاء الجروح (سرعتها) ليس العذر الوحيد غير التقليدي ، اذ ان شفاء الكثير من هذه الجروح من دون تدخل جراحي هو بحد ذاته أمر خارق ، حتى لو كان سيتم على مدى فترة طويلة من الزمن، فعلى سبيل المثال ، ان الجرح النافذ الذي يسببه إدخال سيخ في البطن ، ليس من النوع الذي يلتئم تلقائياً على الإطلاق في الظروف الاعتيادية فيما لو ترك من غير علاج ، خصوصا اذا اخترق السيخ الكبد الذي يتميز ببطء شفائه في حالة

إصابته .

ومن مظاهر الشفاء الخارقة الأخرى لهذه الجروح هو ان عملية شفاء الجروح يصاحبها شفاء كل الإعطاب التي يمكن ان تكون حدثت للأعضاء المصابة . فمثلاً إدخال المريد السيخ عميقاً في عضلات الصدر لمئات المرات لا بد وان ينتج عنه إصابة بعض الأعصاب التي لم يتم إصلاحها ، وهذا يمكن ان يؤثر على سلامة حركة بعض أجزاء الأطراف العليا.

ويمكن إجمال الشفاء الخارق لهذه النوع من الفعاليات في الطريقة الكسنـزانية بثلاث عناصر خارقة :

الأول : الإلتأم التلقائي للجروح .

الثاني : شفاء كل عطب سببه إدخال الأداة الجارحة .

الثالث : حدوث هذين الفعلين الخارقين بصورة فورية.

النوع الثاني : فعاليات تعريض الجسم للحرق بالنار

الأدوات المستخدمة :

- المشاعل : عصا خشبية تلف عليها قطعة قماش وتغمر في النفط .
- الصفائح المعدنية : حيث تسخن لدرجة الاحمرار .
- قطع الفحم الملتهب .

أجزاء الجسم التي يتم الضرب فيها :

اليدين ، الوجه ، الفم ، الأقدام .

النتائج المتوقعة :

- احتراق المناطق المتعرضة للنار .
- التسمم نتيجة استنشاق كميات كبيرة من أول أوكسيد الكاربون .

النتائج الفعلية الحاصلة :

- المناعة الخارقة ضد الحرق .
- المناعة الخارقة ضد التسمم .
- الشفاء الفوري للمناطق المتعرضة للنار .

ملاحظات أخرى :

بإمكان أي شخص ان يشعر بالحرارة العالية التي تشع من مصدر النار المستخدم على بعد أكثر من متر .

النوع الثالث : فعاليات تعريض الجسم للسموم

الأدوات المستخدمة :

الأفاعي والعقارب

أجزاء الجسم التي يتم الضرب فيها :

الأيادي ، اللسان ، أجزاء أخرى من الجسم .

النتائج المتوقعة :

الم وخفقان موضعي في موضع التسمم ، وبعد اثنتي عشرة ساعة يصاب الملدوغ بصدمة ، وتنتشر البثور بشكل عام في الجسم ، وتنخفض درجة الحرارة ، ويقترب المصاب من حالة الغيبوبة ، وفي كثير من الأحيان تؤدي إلى الموت .

النتائج الفعلية الحاصلة :

المناعة التامة ضد كل أنواع التسمم مهما كان نوع الأفعى أو العقرب ، ومهما كانت حالة المريد الصحية .

ملاحظات أخرى :

- تعريض أنفسهم للدغات الأفاعي والعقارب بشكل مقصود .
- أكل رؤوس الأفاعي والعقارب بالكامل وابتلاعها .

ومن جهة ثانية أثبتت الأبحاث خطأ من يزعم ان الجسم البشري يطور بشكل طبيعي مناعة ضد سموم الأفاعي عند تعرضه للدغات متتالية ، وقد أثبتت الدراسات عكس ذلك تماماً . فمع تكرار التعرض للدغات تضعف مناعة الجسم ، وهذا الأمر يضيف عنصر شفائي خارق ، اذ ان تكرار المريدين لتأدية هذه

الفعاليات يضاعف الخطورة في كل مرة .

النوع الرابع : تعريض الجسم للصدمات الكهربائية

الأدوات المستخدمة :

دائرة كهربائية متكاملة يربط معها مصباح أو مروحة ، ويستخدم تيار متناوب فولتيته 220 فولت .

يضاف أحيانا كميات من الماء على جسم المريد لزيادة الخطورة .

أجزاء الجسم التي يتم الضرب فيها :

الذراعين ، الرقبة ، الصدر ، أجزاء أخرى من الجسم .

النتائج المتوقعة :

صدمة كهربائية قاتلة ، واذا طالت مدة التعرض للتيار الكهربائي تؤدي إلى احتراق الجلد وتفحم الأجزاء المتكهربة .

النتائج الفعلية الحاصلة :

- مناعة تامة ضد التيار الكهربائي .

- شفاء خارق للمناطق المتعرضة للتيار الكهربائي حتى لكأن المريد لم تمسه الكهرباء .

النوع الخامس : أكل الأشياء الجارحة أو السامة

الأدوات المستخدمة :

زجاج اللمبات الكهربائية ، المواد الزئبقية السامة التي تطلى بها تلك اللمبات ، أمواس الحلاقة .

أجزاء الجسم التي يتم الضرب فيها :

يتم تناولها ومضغها وابتلاعها .

النتائج المتوقعة :

- الجروح بالنسبة للمواد الجارحة
- التسمم
- الالتهابات

النتائج الفعلية الحاصلة :

المناعة التامة ضد كل ذلك ، والشفاء الفوري

فعاليات أخرى :

ويوجد في الطريقة الكسنزانية أنواع أخرى من الفعاليات الخارقة ، إلا ان ما تقدم هو أشهرها وهو الذي يمارسه مريدو الطريقة بكثرة .

الإثباتات العلمية
لظواهر الشفاء الخارق في الطريقة

كما سبق أن أشرنا فإن الطب العلمي الحديث يشترط ان تتوفر للظاهرة الخارقة شرطان رئيسيان لكي يضعها في خانة البحث والدراسة العلمية التجريبية البحتة ، وفي حالة فقدان احد هذين الشرطين فلا يتبناها العلم المادي (البايولوجي أو التفاعلي) ، وتصنف ضمن ظواهر علم الباراسيكلوجيا وهو علم لا يزال موضع جدل وأخذ ورد .

والسؤال هنا : ما هما هذان الشرطان ؟

ولعل السؤال الأهم هو : هل يتوفر هذان الشرطان في جميع أنواع الفعاليات الخارقة التي يمارسها دراويش الطريقة الكسنـزانية أم لا ؟ وما الدليل على ذلك ؟

أما الشرطان اللذان يراهما العلم الحديث - بجميع فروعه وأقسامه وليس الطبي فقط - ضروريان لكي يتعامل مع أي ظاهرة في الطبيعة كحقيقة علمية ملموسة ، هما :

أولاً : شرط التكرارية ، أي ان الظاهرة يمكن ان تكرر كلما توفرت لها نفس الظروف أو ما يقاربها ، فعلا سبيل المثال ، ان ظاهرة تبخر الماء عند ارتفاع درجة حرارته ، هي ظاهرة علمية ثابتة لأنها يمكن ان تكرر إلى ما لا نهاية اذا ما توفر الماء وتوفر ظرف الحرارة المناسبة التي توصل الماء إلى درجة الغليان وبالتالي التبخر ، وكذلك ظاهرة التكثف ، وهكذا فكل ظاهرة من ظواهر الطبيعية تحدث وفق قوانين محددة ليس للعلم دور فيها من حيث المبدأ (المنشأ) سوى اكتشاف قوانينها ،

ومن ثم محاولة تقنينها مع غيرها من القوانين الطبيعة الأخرى لمصلحة الإنسان .

التكرارية : شرط علمي أساسي لتصنيف أي ظاهرة على إنها حقيقية ملموسة لا مناص للعلم من الاعتراف بها ، حتى وان لم يعرف تفسيرها ، فعدد كبير وكبير جداً من النظريات يقر العلم بأنه غير متأكد من مصداقيتها ، ولكنه يتعامل بها إلى ان يتم التوصل إلى ما هو أفضل منها ، وما يجبر العلم على التعامل مع نظريات لا يجزم بيقينيتها هو وجود الظاهرة الطبيعية المتكررة .

ويعد هذا الشرط احد السببين الذين يحملان العلم الحديث على التشكيك بالظواهر الباراسايكلوجية ، اذ ان جميع ظواهر العلاج الخارق عند غير أهل الطريقة تفتقر إلى عنصر التكرارية بنجاح ، بينما يجزم أهل الطريقة أن نسبة نجاح الشفاء الخارق لجروح الدرباشة [1] في الطريقة الكسنزانية هي 100% ، وما يدل على هذه النتيجة المذهلة هو انه لو لم يكن شفاء جروح الدرباشة يحدث بنسبة نجاح كاملة لأدى هذا إلى تعرض المريد إلى خطر كبير يمكن ان يؤدي إلى إصابة بليغة او إلى عوق ، هذا اذا لم يكلفه الخطر حياته ، وهذا خلاف الواقع الذي يؤكد الشفاء الفوري لجميع الفعاليات التي تمارس من قبل مريدي الطريقة .

ومما تقدم نصل إلى ان الشرط الأول - الذي من المفترض ان يسمح لظاهرة الشفاء الخارق في الطريقة الكسنزانية بالدخول في ميدان البحث العلمي وهو التكرارية بنجاح متوفر في ممارسات مريدي الكسنزانية وظواهر شفاءها الخارقة ، ومصداقية هذا الأمر تثبتها الدعوة المفتوحة التي لا يفتأ شيخ الطريقة ،

---

1 – الدرباشة : هي أدوات يستخدمها مريدوا الطريقة كالسيوف ، والخناجر ، والأسياخ في ضرب مناطق مختلفة من أجسامهم إثناء تأديتهم للفعاليات الضرب الخارقة في الطريقة .

حضرة السيد الشيخ محمد الكسنـزان (قدس الله سره) يوجهها للعلماء والباحثين لكي يتحققوا من واقعيتها ، وهو يدعو الجميع إلى استخدام أحدث الوسائل التكنولوجية التي توصل لها العلم الحديث في دراسة هذه الفعاليات ، متكفلاً بعدد مفتوح من التكرار الناجح .

ثانياً : شرط السيطرة على الظاهرة الخارقة ، فمن أعظم المشاكل التي تجعل الطب الحديث يستبعد الظواهر الخارقة ويضعها في خانة الظواهر الباراسايكلوجية هي ان الغالبية العظمى من الحوادث والقدرات التي توصف بالخارقة هي ظواهر تلقائية ، أي ان تحديد وقت ومكان حدوثها لا يقع تحت سيطرة صاحب الخارقة . بينما تتميز وتنفرد الظواهر الخارقة في الطريقة الكسنـزانية بقدرة مشايخ الطريقة على السيطرة التامة عليها من حيث الزمان والمكان والنوع والكم ، وهذا بالطبع له فوائده القصوى في البحث العلمي ، إذ يمكن مقدماً تجهيز ظروف مختبرية مسيطر عليها لدراسة هذه الظاهرة بشكل دقيق .

واذا أردنا ان نتعمق أكثر في مفهوم السيطرة على فعاليات الضرب في الطريقة الكسنـزانية من قبل مشايخها ، فإن حدود تلك السيطرة يمكن ان توصف بأنها مفتوحة ، وذلك للأسباب الآتية :

أولاً : بمقدور شيخ الطريقة ان يمنح أي عدد من الدراويش الأذن بممارسة هذه الفعاليات ، ويضمن نجاحها جميعاً ، وهذه الإمكانية لها ما لها من الفوائد في البحث العلمي .

ثانياً : وبالمقابل يستطيع شيخ الطريقة ان يسحب ذلك الإذن من أي مريد ووقتها لا يستطيع ان يؤدي تلك الفعالية ولو كان قد مارسها مئات المرات سابقاً ،

والمقصود بعدم قدرة المريد على ممارستها هو انه يصبح معرض لخطر الإصابة الطبيعية الملازمة لمثل تلك الضربات بدون أذن الشيخ .

ثالثاً : ومن الظروف المسيطر عليها أيضاً أن كل مريد يستطيع القيام بكل أنواع الفعاليات مهما كان عمره أو عمله أو حالته الصحية .

رابعاً : ومن أهم الجوانب المسيطرة على هذه الفعاليات هو انه لا يشترط لحصولها استعدادات مسبقة ، بل يمكن ان تؤدى بشكل مباشر وفوري .

خامساً : لا يشترط حضور الشيخ بشكل مباشر أثناء تأدية المريدين هذه الفعاليات ، فيكفي ان يأذن الشيخ للمريد وبعدها ينتهي شرط المكان ، أي يستطيع المريد ان يمارس تلك الفعاليات في أي مكان من العالم ، وهذه الإمكانية تقع أيضا ضمن خصائص السيطرة الكاملة من قبل شيخ الطريقة على هذه الفعاليات .

سادساً : وكما أمكن السيطرة على هذه الفعاليات في كل مكان فقد أمكن السيطرة عليها من ناحية الزمان ، أي ان بإمكان المريد ان يمارس هذه الفعالية في أي ساعة من ساعات الليل او النهار .

وهذا يطرح مسألة غريبة بل غاية في الغرابة من الناحية العلمية ، فماذا لو كان الشيخ نائماً ؟

كيف سيسيطر على عملية شفاء المريد الفورية خاصة اذا كانت الضربة قاتلة او تسبب عاهة ؟

فإذا علمنا ان جميع الظواهر الباراسايكلوجيا تتطلب استعدادات خاصة وجهد ذهني أو نفسي أو حتى عضلي وفي ظروف محددة لكي تحصل ، ونسبة نجاحها تكون ضعيفة جداً، فإن نجاح فعاليات الضرب في الطريقة الكسنزانية ،

وفي ظل ظرف كهذا يكون فيها المعالج المباشر لعملية الشفاء نائماً ، أي غائباً عن الوعي ، يستدعي عقلياً ان يكون هناك تدخلا من قوة عليا (ميتافيزيقية) في عمليات الشفاء الخارق .

هنا تتبلور المشكلة الكبرى بين الطب التقليدي والطب الصوفي (الديني) ، فإذا كان الطب التقليدي لا يزال يشكك بالقدرات الباراسايكلوجية ، والتي تفترض أن هناك أشخاص ذوي قدرات خاصة تفوق قدراتهم تلك التي يمتلكها عامة البشر ، فكيف سيكون موقفه من قدرات تنبع من مصدر غير بشري أصلا ، أي خارج حدود الطبيعة كلها ؟!

ان هذه النقطة بالتحديد هي أحدى السمات الرئيسية في فعاليات الدروشة والتي سوف تضطر العلم الحديث اذا ما أراد ان يتعامل معها بجدية علمية إلى ان يتنازل عن إنكاره للقضايا والأمور فوق المادية .

بعبارة أخرى : ان النموذج الطبي الجديد ، واستناداً إلى مثل هذه الحقائق الملموسة ينبغي أن يأخذ بنظر الاعتبار خلال إجراء الأبحاث والدراسات والتجارب العلمية الآراء والتفسيرات الروحية التي يقدمها مشايخ الطريقة .

الطب الجديد ، ينبغي ان يمسك بالتفسير المادي بيد والتفسير الروحي باليد الأخرى ، ويحاول اكتشاف العلاقات والقوانين التي تربط بين الفيزيقي والميتافيزيقي بطريقة علمية ، فهذا يساعد على اختصار الطريق على البشرية لتنتقل وبقفزات نحو الرقي والكمال المادي والروحي في آن واحد .

الفصل الرابع

الشفاء الصوفي ..
النظريات والتفاسير

قبل أن ندخل في عملية تفسير ظواهر الشفاء الخارقة في الطريقة الكسنـزانية نود ان نطرح السؤال الآتي :

اذا كانت ظواهر الشفاء الخارق في الطريقة حقيقة واقعية ملموسة ، فمن يستطيع ان يحللها ويفسرها ؟ .

نظرياً هناك أربع جهات يمكن ان تتبنى هذا الأمر وهي :

1. الطب البايلوجي والتفاعلي .
2. علم الباراسايكلوجيا .
3. الفكر الديني التقليدي .
4. علم التصوف (الكسنزان وتفسيره للشفاء غير التقليدي)

ولنستعرض معاً ، ما يمكن أن تقدمه كل جهة للعالم في هذا الشأن الطبي الخطير:

الطب الحديث وتفسيره لظواهر الشفاء الخارقة

رأينا في المبحث الأول كيف ان الطب الحديث ينقسم إلى قسمين رئيسين هما : الطب البايلوجي والطب التفاعلي .

ورأينا كيف ان الطب البايولوجي يتنكر كل التنكر لكل ما يمت إلى غير المادة البحتة بصلة حتى ولو كانت النفس الإنسانية ، والتي يتعامل معها على أساس مادي فيعدها نوع من أنواع الطاقة المادية .

وحتى لو فرضنا جدلاً أننا أجبرنا علماء هذا القسم من الطب على اختبار مصداقية حدوث ظواهر الشفاء الخارقة ، وبعد ان يتأكدوا من حصولها بالفعل ، فإن احتمالات آراءهم قد تنحصر في إطار ثلاثة أراء وهي :

الأول : هو المبالغة في الإنكار والجحود لها بلا تفسير .

الثاني : هو الاعتراف بها ، والإقرار بعدم القدرة على تفسيرها في الوقت الحاضر أسوة بغيرها من الظواهر التي لا يزال العلم يبحث عن تفسير لها ، ولكن هذا التوقف في أمرها لا يخرجها عندهم عن حدود الطبيعة المادية لها . أي انها ظاهرة طبيعية متعالية يمكن ان تعم اذا تم اكتشاف قوانينها المادية .

ان ما يحسبه العلماء في هذا القسم تفكيراً علمياً صرفاً لا يختلف عن نمط التفكير لدى دعاة (فلسفة الطبيعة) الذين ينتهون بتفكيرهم الفلسفي إلى نفس النتيجة التي قال بها أطباء النموذج البايلوجي ، فهم يذهبون إلى انه من المحال ان « يعيش الاعتقاد بأن للطبيعة قانوناً ، السنن فيه علل تابعة لمعلولاتها ، ومسببات ناتجة عن أسباب ، جنبا إلى جنب مع الاعتقاد بالمعجزات التي يقول بها الدين

الرسمي . فالقانون الطبيعي إنما معناه انتظام نظام دقيق في الطبيعة أو بعبارة أكثر وضوحاً معناه ان الطبيعة طبيعتها النظام ، بينما الخوارق والمعجزات فمعناها الفوضى واللانظام »[1] .

هكذا يرى هؤلاء ، وفي معرض تفسيرهم للظواهر الخارقة التي لا يستطيعون إنكارها يقولون : « أما اذا كان هناك حقيقة قد حدث في الطبيعة حدث يعده الدين ومن وراءه العقل الجماعي خارقة أو معجزة فذلك إنما شاهد ودليل يقوم لا على أن الحدث معجزة ، وإنما على عجز الإدراك عن فهم وتفسير حقيقة هذا الحدث الطبيعي »[2] .

هذه المعاول العقلية (الطبية والفلسفية) كان لها الدور الأكبر في ترسيم الهوة الفاصلة بين البناء اللاهوتي للدين الرسمي (السماوي) وبين الصرح العقلي للدين الطبيعي ، اذ كان هناك من دين في الكون فهو « القانون الطبيعي »[3].

الثالث : الاعتراف بها ، والإقرار بأنها خارج حدود علوم الطب التقليدية ، وبالتالي يجب ان تبحث في غير مجالاتهم .

واذا استثنينا الحالات النادرة التي قد يخرج فيها بعضهم عن حدود الإطار المعرفي الذي يقيد ذهنيته العلمية المقيدة بالمادية الصرفة ، فإن البقية الباقية لا يمكن ان تعطينا في هذا المجال أكثر مما ذكر .

وأما القسم الثاني من الطب الحديث وهو الطب التفاعلي ، والذي يعتبر أحسن حالاً

---

1 – أبكار سقاف – الدين عند الرومان والأغريق والمسيحية – سلسلة نحو آفاق أوسع – ص 84 .

2 – المصدر نفسه – ص 84 .

3 – المصدر نفسه – ص 84 .

من سابقه من حيث انه يأخذ بنظر الاعتبار القضايا النفسية والعقلية وتأثيراتها على الناحية الكيميائية والفيزيائية في جسم الإنسان (أي تأثير اللامادي على المادي) فأنه ومع ذلك ليس بأحسن حالاً في مجال تحليل ظواهر الشفاء الخارقة في الطريقة وتفسيرها من الطب البايولوجي .

ويمكن ان يتبين ذلك بوضوح اذا علمنا ان الفارق بينه وبين القسم الأول هو ان الطب البايولوجي يرى ان المحفز على الشفاء هو العقاقير الكيمائية ، بينما يرى الطب التفاعلي ان المحفز على تقبل الجسم للعقاقير الطبية أو على عدم تقبلها ورفض مؤثراتها الكيمائية هو حالة نفسية أو عقلية معينة عند الشخص .

ولهذا فلا يمكننا ان نتوقع من هذا العلم تفسيرا للظواهر الشفائية الخارقة يتجاوز مدى التحفيز السايكولوجي للميكانيزمات البيولوجية اللاإرادية التي تؤدي وظائف العلاج الذاتي عند صاحب الفعالية الخارقة.

وبالرغم من ان عدد من الدراسات والأبحاث العلمية اثبتت قصور النموذج التفاعلي كما سبق ان اشرنا ، لأن هناك بعض الظواهر الشفائية الخارقة كان فيها المرضى غير مطلعين على انهم يتعرضون لتجربة شفاء خارقة وقد تحسنت حالتهم ، كما ان ظواهر الشفاء الخارقة بالنسبة للحيوانات تدل ايضاً على قصور التحليل التفاعلي .

نقول : بالرغم من ذلك فأننا نرى ان هذا التحليل دار حول حمى التفسير الصوفي لظواهر الشفاء الخارقة ، فواقع الحال ان هناك محفز قوي يقوم بتحفيز الميكانيزمات البيولوجية اللاإرادية التي تؤدي وظائف العلاج الفوري وليس الذاتي ، لأن الثابت العلمي لحد الآن ان الشفاء الذاتي في حالة حصوله بسبب أي

محفز بايلوجي او سايكلوجي يستغرق وقتاً معينا يطول ويقصر حسب نوع الحالة ، أما ما نشهده هنا فهو حالة شفاء فوري نتيجة تحفيز غير اعتيادي للميكانيزمات البيولوجية اللاإرادية . فالتحفيز موجود ولكنه غير ذاتي ، وهذه هي النقطة الأهم التي نود ان نركز عليها ، اذ انها تمثل الفارق الحقيقي بين التفسير التفاعلي لظواهر الشفاء الاعتيادي وبين ظواهر الشفاء الخارق .

والنتيجة التي نخلص لها ، هو العجز الفعلي لقسمي الطب عن تفسير هذه الظواهر سواء أعترف بها أم أنكرها .

علم الباراسايكلوجيا وتفسيره لظواهر الشفاء الخارقة

قد يتبادر إلى الأذهان ان ظواهر الشفاء الخارقة في الطريقة هي ظواهر باراسيكلوجية ، وان التفسيرات التي وضعها العلماء والباحثين في هذا العلم كافية لتعطينا التفسيرات العلمية لهذه الحالات ، أو الحد الأدنى على الأقل من تلك التفسيرات .

ولكن البحث المعمق يكشف وبلا ادنى شك ان هذه الظواهر الشفائية الصوفية بعيدة البعد كله عن هذا العلم وكل ما يمت له بصلة ، وذلك لأن جميع تفسيرات هذا العالم تنطلق من الأرضية الفكرية نفسها التي ينطلق منها نموذج الطب التفاعلي ، إلا ان الفارق الرئيس بينهما ، أن الطب التفاعلي يتعامل مع أمراض وظواهر طبيعية ، بينما يحاول الباراسايكلوجيين البحث والتعامل مع ظواهر خارقة للطبيعة أو تبدو خارقة على حد تعبير الباراسايكلوجي وعالم النفس (جون بالمر) [1] .

ومعنى ذلك ان عنصر القدرات الذاتية هو الطاغي على جميع التفاسير

---

1 - palmer 1986:33 .

الباراسايكلوجية ، لأنهم يرجعون كل شيء إلى قدرات ومواهب ذاتية وليست خارجية ، وهذا بالطبع يتناقض تماماً مع خوارق الطرق الكسنزانية التي ثبت عقلاً وتجربة انها لا تعتمد على قدرات ذاتية ابداً بل على قدرات خارجية (ميتافيزيقة) ، وقد سبق الإشارة إلى مسألة مقدرة المريدين على تأدية فعالياتهم حتى في حالة غياب الشيخ الحسي عنهم ، بل وحتى في حال نومه .

فعلم الباراسايكلوجيا وابتداءً من تعريفه اللغوي والذي يعني ما يجاور علم النفس ، أو ما وراء علم النفس من ظواهر نفسية خارقة وغريبة ، لأن مصطلح الباراسايكلوجي يتكون من مقطعين هما : (البارا) وتعني بقرب أو بجانب ، و(سايكلوجيا) وتعني علم النفس (1) أو من مختلف تعاريفه الاصطلاحية ، وكذلك في جميع الأبحاث التي قام بها العلماء والباحثين لا يخرج البتة عن حدود النفس البشرية وقدراتها غير الاعتيادية .

ليس هذا فقط ، بل ان العلماء سواء الباراسايكلوجيين منهم أو المشككين ، يندفعون نحو رفض النظرات الميتافيزيقية للظواهر الخارقة . أي ان الموقف السائد هو رفض شامل لكل تفسير ميتافيزيقي يحيد عن فكرة كون الإنسان هو منبع ومصب الظاهرة الخارقة .

والسبب الذي يقدمه العلماء في محاولتهم تفنيد الاعتقادات الميتافيزيقة بشكل عام ، هو ان الكثير من الأفكار التي كانت سائدة بين الناس قد برهن العلم على أنها غير صحيحة ، كما في مسألة مركزية الأرض للكون ودوران الشمس والكواكب حولها كما كان سائداً في السابق لأفكار ميتافيزيقية ، وكذلك مثلاً مسألة

---

1 – سامي احمد الموصلي – الباراسايكلوجيا ظواهر وتفسيرات – ص 33 .

الخفاش الذي كان يظن انه يستخدم أساليب خارقة في تحسسه لطريقه ، قبل ان يثبت العلم بأنه يرسل نبضات صوتية قصيرة عالية التردد تصطدم بالأجسام الأخرى القريبة منه لتنعكس اليه فيستلمها كالرادار، ويستطيع ان يتحرك بكل مهارة متفاديا الاصطدام بالأشياء .

ويرد على هذه النظرة المنكرة للأفكار الميتافيزيقة سواء من قبل العلماء ذوي التوجهات المادية او من قبل علماء النفس والباراسايكلوجيين من وجهين :

الوجه الأول : إن الأفكار والمفاهيم الموروثة القديمة التي نجح العلم في كشف خطأ الكثير منها ، هي في حقيقتها ظواهر (طبيعية) لا (فوق طبيعية) . وهذا يشكل فارق كبير في المسألة ، فاذا كانت الظاهرة طبيعية لا يستطيع احد ان يزعم التفسير الميتافيزيقي لحدوثها ، وأما الظواهر فوق الطبيعية ، فهي أصلا خارقة لقانون طبيعي وبالتالي فتفسيرها منطقياً لا بد ان يكون ميتافيزيقي .

الوجه الثاني : إن كان العلم الحالي (الطبيعي او الباراسايكلوجي) قد نبذ التفسيرات الميتافيزيقية للظواهر الخارقة ، فأنه لم ينجح في الإتيان ببديل مقبول من الناحية العلمية او العقلية ، وهذا يستدعي ضرورة القول بأن نجاح العلم في كشف أخطاء شاعت طويلاً بين الناس بخصوص ما تعرف اليوم بالظواهر الطبيعية ، لا يبرر الدعوى بإنكار التفسيرات الميتافيزيقية لظواهر فوق طبيعة أصلاً .

بعبارة أخرى : إن نزعة (أنسنة) جميع الظواهر الخارقة وربطها بتغيرات في وعي الإنسان نزعة ليست بالعلمية التي يعتقدها الكثيرون .

وما دامت هذه النزعة موجودة عند العلماء الذين يبحثون في الظواهر

الباراسايكلوجية ، فهذا يجعلهم غير مؤهلين لتفسير الظواهر الخارقة الموجودة في الطريقة الكسنزانية ، لأن الاختبارات التي أجريت على هذه الظواهر ، تؤكد خطأ جميع النظريات التي تربط بين هذه الظواهر وحالات الوعي الإنساني (القدرات الذاتية للإنسان) .

ويمكن ان يتبين خطأ النظريات الباراسايكلوجية في تفسير الخوارق في الطريقة الكسنزانية من خلال الأمثلة الآتية :

المثال الأول : نظرية السيطرة على الألم

قدم الطبيب (جيمس هنري) نموذجاً لتفسير قابلية السيطرة على الألم في بعض ظواهر (الغشية)[1] التي يتعرض فيها الجسم لبعض الأذى المتعمد ، حيث يذهب بافتراضه إلى ان سبب السيطرة على الألم هو حدوث زيادة في مستويات دوران (الاندروفينات)[2] إلى مستويات يمكن ان تؤدي إلى حالات فقدان الإحساس بالألم . والعامل الذي يفترضه الدكتور هنري يقف وراء ارتفاع نسبة الاندروفين هو الإيحاء والتوقع [3] .

إن المتأمل في هذا التفسير يجد ان نقصاً كبيراً قد وقع فيه الدكتور هنري وغيره من القائلين بهذه النظرية كالطبيب النفسي الهندي (تشاندرا شيكار) ، وهذا النقص يتمثل في الإهمال المتعمد لبقية الخوارق المصاحبة لعملية الضرب في الطريقة الكسنزانية وهي المناعة ضد النزيف والمناعة ضد الالتهاب والشفاء

---

1 – الغشية : حالة بديلة من التركيز الداخلي على عدد محدود من المثيرات – www.bintnet.com

2 – اندروفين : هو الاسم الذي يطلق على أي مجموعة من مركبات كيمياوية تتكون طبيعياً في الدماغ وذات ميزة مخففة للألم كالأفيونات .

3 – Henry, J. L., (1982), Possible Involement of Endorphins in Altered States of Consciousness, Ethos, 10(4), 394 – 480 .

الخارق الفوري للجروح وإيقاف الآثار المترتبة على التسمم كما ان الاندروفين لا يمنع الاحتراق نتيجة النار أو نتيجة التعرض للصعقات الكهربائية وغيرها من ممارسات مريدي الكسنزان .

فإذا كان هذا التفسير يصلح لتفسير بعض الظواهر الباراسايكلوجية فإنه غير صالح على الإطلاق لتفسير الكرامات (الخوارق) في الطريقة الكسنزانية لأنها تكون دائماً مركبة من عدة خوارق في آن واحد .

المثال الثاني : نظرية الغشية

من النزعات الطاغية عند مفسري الظواهر الباراسايكلوجية هي النزعة التي تفسر حالات الشفاء الخارقة على انها نتيجة لـ (حالة غشية) [1] سببها اشتراك المريدين في حلقات الذكر التي تسبق ممارسة فعاليات الضرب .

وهذه النظرية يسهل دحضها بسهولة لأن المريدين يستطيعون ان يمارسوا هذه الفعاليات بدون ممارسة أي طقس أو شعيرة من شعائر الذكر ، وهذه الممارسة يمكن ان تكون في التكية [2] أو الشارع أو حتى في السيارة ، ومن ناحية ثانية يمكن اختبار حالة الوعي لدى المريدين بسهوله من خلال محاورته في أي موضوع قبل وأثناء وبعد تأدية الفعالية .

فليست الغشية وفقدان حالة الوعي الطبيعية إلى حالة وعي مغايرة هي المسيطرة على حالات الشفاء الخارقة في الطريقة الكسنزانية ، وهذا يسقط زعم

1 – الغشية : وهي حالة يتركز فيها انتباهك على أفكارك ومشاعرك الداخلية بدلا من تركزه على العالم المباشر المحيط بك مثلما يحدث في أحلام اليقظة – www.rwabi.net

2 – التكية : هي بناء خاص بالصوفية ، ينـــزلونها من أجل التعبد ، وممارسة الشعائر الصوفية والرياضات الروحية برئاسة شـــيخ يرعى شؤون المريدين – د . يوسف فرحات – المساجد التاريخية الكبرى – ص 138.

آخر من المزاعم التي تعزوا هذه الظواهر إلى قدرات ذاتية خاصة بالمريدين ، بل تثبت العكس وهو ان هناك قدرة ميتافيزيقية تستطيع ان تسيطر على الفعل الخارق دون ان يمس وعي المفعول فيه (المريد) أدنى مساس .

المثال الثالث : نظريات المناعة ضد النار

طرحت نظريات عديدة حول مقاومة النار خصوصاً ظواهر السير على الفحم الساخن ، وسبب تصاعد الاهتمام بهذه الظاهرة هو انتشار ممارستها في أمريكا على يد عدد من منظمي الحفلات الجماعية للسير على الفحم ، يمكن لمن يشاء ان يشارك فيه مقابل مبلغ مالي معين .

وأهم النظريات التي وضعت لتفسير هذه الظاهرة :

- نظرية وضع المرهم العازل على الأقدام قبل السير على الفحم .
- نظرية التعرق الذي يسبب طبقة عازلة تحمي قدم السائر على الفحم .
- نظرية الوزن القليل للجسم الذي لا يسبب ضغطاً كبيراً على الفحم .
- نظرية التعود من الصغر على السير حفاة الأقدام الأمر الذي يجعل الجلد قاس .
- نظرية ان الفحم الساخن لا يخزن حرارة كبيرة وتوصيله ضعيف .
- نظرية تكون بلازما بايلوجية تحمي من الحرق نتيجة حالة وعي خاصة .
- نظرية الغشية أو حالة الوعي المغاير .
- نظرية اعتقاد الشخص بنجاح عملية السير على الفحم حاله حال غيره .

ونظريات أخرى يطول بنا المقام اذا تعرضنا لها بالذكر أو الشرح وجميع هذه النظريات أو الفرضيات التي تحاول تفسير المناعة ضد النار، وبالذات فعالية

السير على الفحم الساخن ، لا يوضح مدى الصعوبة التي يواجهها العلماء في تفسير هذه الظواهر فحسب ، ولكن يوضح مدى إصرارهم على وضع تفسير (طبيعي) بأي ثمن .

ولا يهمنا هنا من أمر نقض هذه النظريات التي تكفل به بعضهم على البعض الآخر ، بقدر ما يهمنا ان نشير إلى ان فعاليات النار في الطريقة الكسنـزانية تختلف تماماً فهي تتضمن نماذج سبق الإشارة لها من تعريض الوجه والفم واللسان والأيدي وأجزاء أخرى من الجسم ، وليس هذا فحسب بل في بعض الحالات يقوم المريد بتعريض ملابسه لهذه الفعالية فلا تحترق .

ولو تعرضنا لأمثلة أخرى لما وجدنا أي نظرية أو تفسير علمي أو بارسايكلوجي يمكن ان ينطبق أو يفسر أي ظاهرة من ظواهر الشفاء الخارق في الطريقة الكسنـزانية لأن الخلل - في نظرنا - وبكل بساطة يعود إلى ان الأرضية التي ينطلق منها الباراسايكلوجيون في الفهم والتفسير تختلف تمام الاختلاف عن الأرضية التي ينطلق منها الصوفية في الطريقة الكسنـزانية والتي سنبينها بالتفصيل لاحقاً .

وإذا كان اقرب العلوم غير الدينية للظواهر الخارقة هو علم الباراسايكلوجيا قد ظهر عجزه عن تفسير أي ظاهرة من الظواهر الخارقة في الطريقة الكسنـزانية ، فإن باب البحث في مجال العلوم المادية والنفسية قد أغلق - على الأقل لحد الآن - ولهذا نتوجه إلى الباب الثاني صاحب العلاقة بهذه الأمور وهو الجانب الديني لنرى ما يمكن ان يقدمه لهذه الظواهر .

الفكر الإسلامي وتفسيره للخوارق الدينية

من حيث المبدأ ، لا يختلف اثنان في الدين الإسلامي حول مسألة الإيمان بخوارق العادات ، وهي تسمى (معجزات) اذا ظهرت على أيدي الرسل والأنبياء (عليهم السلام) وتسمى (كرامات) اذا ظهرت على أيدي الأولياء .

ويمكن القول بأن جميع العلماء في الدين الإسلامي يمكنهم ان يسوقوا الأدلة على صحة حصول الخوارق الدينية (المعجزات والكرامات) لأسباب عقائدية بحته ، ويمكنهم أيضاً ان يبينوا الفوارق بين نوعي هذه الخوارق ، وكذلك الفوارق بينها وبين السحر وغيرها من الظواهر الباراسايكلوجية وكذلك بينها وبين الألعاب السحرية ، وغير ذلك من المباحث في هذا الشأن إلا إنهم في مجال تفسير الكيفية التي تحصل بها هذه الخوارق يقفون صامتين إلا من عبارة واحدة وهي (ان هذه الخوارق تحصل بقدرة كن فيكون) وهي إشارة إلى قوله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [1] .

ولهذا فلا يوجد تفسير لخوارق العادات عند علماء الدين الإسلامي لأنهم يعتمدون في فهمهم للدين على العقل ، وهذا العقل اذا كان يمكن ان يحكم بمصداقية حدوث الخوارق أو حتى ضرورتها الدينية فأنه لا يستطيع ان يتجاوز حدود ظاهر الفعل إلى ماهيته ، ولما كانت النصوص الشرعية غير مصرحة

---

1 – النحل : 40 .

بتلك الماهية فأن عقول العلماء تقف عاجزة عن تفسير الكيفية التي تحدث بها تلك الخوارق ، تلك الكيفية التي دعا نبي الله إبراهيم عليه السلام ربه ان يكشف له عنها وان يريه حقيقتها وذلك حين قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1] .

---

1 – البقرة : 260 .

الكسنـزان وتفسيرهُ للشفاء غير التقليدي

ان التفسير الذي تقدمه الطريقة الكسنزانية لكشف حقائق الطب الصوفي هو تفسير روحي ، أي ليس مادي أو فلسفي أو نظري .

والتفسير الروحي هو التفسير المأخوذ من نوع معين أو نمط خاص من المعرفة ، لا يشبه بقية الأنماط الفكرية المعتمدة في العلوم المادية أو العلوم العقلية ذات الطابع النظري . وفيما يلي اهم النواحي التي يمكن على أساسها فهم الكيفية التي تحدث بها ظواهر الطب الصوفي الخارق :

المعرفة والقدرة (الخارقة) في المنظور الصوفي

يقول حضرة السيد الشيخ محمد الكسنـزان (قدس الله سره) :

« التصوف : هو علم معرفة الله سبحانه وتعالى » ، أي العلم الذي يبحث عن الوصول إلى الحقيقة المطلقة التي ليس ورائها حقيقة ، وللوصول إلى هذه المعرفة ينبغي أولاً معرفة النفس الإنسانية ، لأن احد القواعد الثابتة عند الصوفية هو الحديث المشهور ﴿ مَنْ عرفَ نفسهُ فقد عرفَ ربهُ ﴾ [1] ، وهذا يعني وجود تلازم معرفي من نوع خاص بين الحقيقة المطلقة (الله) والحقيقة المقيدة (النفس) وهذا التلازم أشار إليه الصوفية كثيراً في مؤلفاتهم حين تحدثوا عن عملية الخلق الأولى وكيف ان الله سبحانه وتعالى أكرم آدم عليه السلام بأن نفخ فيه من روحه ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ

---

1 – عبد الرؤوف المناوي – فيض القدير شرح الجامع الصغير – ج 5 ص 50 .

﴿بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1] ، فكان الإنسان بتلك النفخة مميزا عن غيره من الكائنات ، وكانت وسيلته للمعرفة الإلهية .

ان المعرفة المشار إليها ليست مجرد معرفة علمية بحتة (معلوماتية) ، بمعنى انها ليست مجرد الوصول إلى معلومات معينة ، فمصطلح المعرفة عند الصوفية ذو أفق صفاتي ، فلن تعرف صفة السمع الإلهي ما لم تتحقق بشيء من صفة السمع الإلهي المطلق عن الحدود والقيود ، وما لم يخرق أمام سمعك حواجز (الزمان والمكان) فتسمع ما لا يسمعه غيرك على بعد المسافة لا تسمى عارفا بالله من حيث صفة السمع ، وكذلك البصر ، والكلام ، والقدرة وبقية الصفات . ويستشهد الصوفية على ذلك بالحديث القدسي الذي يقول فيه الحق تعالى : ﴿ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِى بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِى لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لأُعِيذَنَّهُ ﴾[2] .

ومن ينظر بالله فلا يخفى عنه شيء ، ومن يقدر بالله لا يعجزه شيء ، يقول حضرة السيد الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) « كل علم بعد معرفة الله سبحانه وتعالى سهل وميسور لأن من يعرف الخالق لا يخفى عليه معرفة المخلوق » .

---

1 - الحجر : 28 – 29 .

2 – أخرجه البخاري ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ، كتاب التهجد ، باب صلاة النوافل جماعة ، رقم 6502 .

والفكرة ببساطة هي ان الخالق سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من خلقه وهو قادر على فعل أي شيء في مخلوقاته ، وكما خلق القوانين الطبيعية وحدد قدرات كل مخلوق بحدود معينة ، فجعل كل مخلوق متميز عن المخلوق الآخر بصفات وخصائص معينة ، فهو سبحانه وتعالى قادر على خرق تلك القوانين وإظهار بعض القدرات فوق القوانين الطبيعية على يد من يشاء من خلقه .

ان مصطلح (الفناء في الله) هو صفة العبد الذي يصل إلى مرتبة المعرفة والقدرة بالله تعالى ، فمن يفنى في صفات الله تعالى المطلقة يتمكن وقتها من الإطلاع والفعل بالقدرة الإلهية وليس بالقدرات البشرة المحدودة . هذه القدرة الخارقة يسميها حضرة السيد الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) بـ (القوة الروحية) ، ومن منطوق العبارة فإن هذه القوة غير مادية ، ولذلك ، لا يبدو من السهولة التحقق منها بالوسائل العلمية المتوفرة ، فإن المنهج العلمي المحدد بالأبعاد الحسية للقياس لا ينسجم مع حقائق البعُد الصوفي (الروحي) .

وما يهمنا هنا هو ، معرفة سر الشفاء في الظواهر الخارقة في الطريقة ، ويبدو ان ما يصطلح عليه بـ (القوة الروحية) هو الذي يقف وراء كل ذلك . اذ ان ما يتحكم بالمادة من الناحية الفعلية هي ما تختزنه من قوة (طاقة) ذات خصائص وصفات معينة ، وما دام هناك مصدر يمد الأشياء بطاقات فائقة فإن القدرات الخارقة لا بد ان تظهر على تلك الأشياء المادية ، فعلى سبيل المثال ان الجرح الذي يستغرق أكثر من أسبوع لكي يشفى ويلتئم في حالة الاعتماد على القوة الاعتيادية للجسم هو نفسه لا يستغرق سوى ثواني معدودة في حالة القوة الروحية الفائقة ، ولا يتوقف دور القوة الروحية على التدخل في عامل الزمن

فقط ، بل في العوامل البايلوجية اذ يمنع الالتهابات والعوارض الجانبية ، وكذلك في العوامل العصبية والنفسية وغيرها .

ولكي يتضح دور (القوة الروحية) الفعلي في الطب الصوفي وكيف تستطيع تفسير ظواهر الشفاء الخارق في الطريقة ، نعرض إلى اهم الخصائص التي تتميز بها هذه القوة والتي يمكن ان تجيب على جميع تساؤلات العلماء حول هذا النوع من الطب .

خصائص القوة الروحية وصفاتها

يرى حضرة الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) : ان حالة الشفاء الفوري الخارق تحصل للمريد عندما يقوم بممارسة فعاليات الدروشة ، وذلك نتيجة لانتقال قوة روحية خاصة (فوق طبيعية أو ذات بُعد آخر) من شيخ الطريقة إلى المريد لحظة قيامه بالفعاليات أو عندما يرى الشيخ ضرورة لذلك .

وأهم هذه الخصائص لهذه القوة :

1. إنها قوة روحية (طاقة لا مادية) ، أي لا يمكن تلّمس حقيقتها بالحواس أو الأجهزة المختبرية ، بخلاف أثارها الشفائية الخارقة على الجسد التي يمكن متابعة التئامها الخارق أو مقاومتها الخارقة .

2. هذه القوة الروحية واحدة في ذاتها متعددة في خصائصها الشفائية ، أي أن جميع أنواع الفعاليات تعالجها قوة روحية واحدة ، أو الطاقة الشفائية الخاصة نفسها .

3. انها قوة روحية خارجية وليست ذاتية ، بمعنى إنها تأتي للمريد من خارج جسمه لتؤدي أثرها الخارق فيه .

4. هذه القوة مسيطر عليها من قبل شيخ الطريقة الحاضر بنسبة 100% ، فهي ليست كالعقاقير الطبية التي يمكن ان تضر اذا زادت عن الحد أو لا تنفع اذا كانت قليلة أو لها أعراض جانبية فهي قوة كاملة متكاملة تؤدي دورها الشفائي الخارق دون زيادة أو نقصان أو أعراض .

5. تتحقق السيطرة المطلقة على هذه القوة من قبل شيخ الطريقة الحاضر قبل إيصالها إلى المريد وبعد وصولها له ، وذلك لأنها لا تنفصل عن شيخ الطريقة بل تبقى متصلة به ، والأمر أشبه بالضوء الذي يسقط على جدار ، فالنقطة الضوئية الظاهرة على الجدار غير منفصلة عن مصدر الضوء ، لأن الأشعة الضوئية تمتد من ذلك المصدر باستمرار وهكذا القوة الروحية بين شيخ الطريقة والمريد .

6. وبما إنها قوة غير مادية فعاملي الزمان والمكان لا يؤثران فيها من قريب أو بعيد . أي ان انتقالها لا يحتاج إلى وقت ولا يؤثر فيه بعد المسافات .

7. وكذلك لا يؤثر في هذه القوة كون الشيخ مستيقظاً أو نائماً لأنها غير محكومة بعوامل طبيعية بل بعوامل فوقية متعالية . ومعنى ذلك إن الشيخ اذا كان نائماً (من الناحية الجسمية طبعاً) فإنه من الناحية الروحية لا ينام ، وذلك لأن روحه الطاهرة فانية في نور الله تعالى ، والحق تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم ، وبالتالي فإن الجانب الروحي المتعالي دائم الحضور في كل مكان وزمان .

وهذه النقطة بالتحديد تنفي تهمة الشرك (تعدد الآلهة) عن مشايخ الطريقة التي قد يحاول البعض ان يصبغهم بلونها ، لأنهم يقولون : ان القوة لله وحده ، وهو سبحانه يصل من يشاء من عباده (الأنبياء والأولياء) روحياً وليس مادياً

(حسياً) وما يفعله العبد كله بحول الله ورضاه وقوته ، وليس أدل على بيان هذه الصلة من قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى ﴾[1] فمن الناحية الحسية الجسمية الفعل الخارق للعبد (النبي أو الولي) ومن الناحية الروحية الفعل لله سبحانه وتعالى .

ان الخصائص والصفات التي تتضمنها القوة الروحية من شأنها ان تعطي تفسيراً شاملاً لأي سؤال عن الطب والشفاء الصوفي ، كما ان من شأنها ان تبطل أي افتراض علمي أو فلسفي أو فكري لا ينطبق أو ينسجم معها .

ماهية القوة الروحية

ذكرنا عدداً من الخصائص والصفات التي تتميز بها (القوة الروحية) التي يعدها شيخ الطريقة السبب الحقيقي وراء جميع الخوارق التي تظهر في الطريقة بما فيها ظواهر الشفاء الخارق . ولكن ما هي طبيعة هذه القوة وما هي حقيقتها ؟

بداية ، حتى العلم الحديث لم يستطيع ان يصل إلى ماهية الطاقة أو حقيقتها الذاتية ، ومعظم ما وصلت إليه العلوم المادية بني على نظريات وفرضيات لا يزال عدد كبير منها غير ثابت من الناحية العملية ، فمن رأى ماهية الطاقة أو الكهرباء أو الجاذبية أو غيرها ؟

واذا كان النظام الذري يفترض ان أصل الأشياء يرجع إلى ذرات تتكون من شحنات سالبة وموجبة ومعتدلة ، فإن الاكتشافات العلمية المتأخرة أثبتت ان ذلك غير صحيح، وان هناك جسيمات اصغر من الذرة بكثير، لا يمكن ان تنطبق عليها أي

---

1 – الأنفال : 17 .

نظرية أو قانون فيزيائي، ووقع العلم في إشكالية كيف تحدث الظواهر المنتظمة اذا كان البناء الجوهري للمادة غير مستقر أو غير ثابت على حالة أو نمط معين ، حتى تبلورت في العقد الأخير نظرية سميت بنظرية (الأوتار الفائقة) حاولت ان تربط بين تغيرات جوهر المادة وسكون ظاهرها عن طريق التموج [1] .

ولو سألنا علماء الفيزياء ، عن هذه الأوتار وهل رأوها بأجهزتهم أو رأوا تموجاتها الفائقة لكانت الإجابة بالنفي ، وما حصل انهم افترضوها لترفع لهم تناقض بين طبيعة المادة أو جوهرها الذاتي وبين ما يحصل بالفعل .

فإذا كانت المادة الملموسة المدركة بالحواس لا يمكن تحديد ماهيتها، فكيف يكون الحال مع قوة يقول عنها المختصين بها (مشايخ الطريقة) لا مادية ، ويصفوها بأنها (روحية) ؟!!

لا شك ان السؤال عن ذلك ، والبحث فيه يعد من الناحية العقلية ضرباً من العبث ، ومع هذا فحضرة الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) يؤكد أن هذه المعرفة المطلوبة بماهية القوة الروحية يمكن الوصول إليها والتعرف على حقيقتها ، ولكن روحياً وليس عن طريق العقل أو الحواس أو الأجهزة العلمية ، بل من خلال سلوك نهج الطريقة الذي يستطيع ان ينقل السالك من المعرفة الحسية إلى نوع آخر من المعرفة تسمى (المعرفة الكشفية) ، وهي معرفة لا تعتمد على معطيات المادة بل على ما يكشفه أو يفيضه العالم الروحي لروح المكاشف من معارف ومعلومات ، حيث يجد العارف في ذاته حقائقها ، ولا يستطيع ان يعبر عنها بشيء من اللغة التقليدية ، لأن معطياتها من عالم آخر

---

1 – أنظر : بول ديفيس – جوليان براون – الأوتار الفائقة نظرية كل شيء – سنة 1997 .

مغاير تماماً لمعطيات عالمنا المادي هذا .

إذاً ، ما يخبرنا به حضرة الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) حول ماهية القوة الروحية شيئان :

1. لا يمكن قياس اللامادي على المادي ، أي لا يمكن معرفة القضايا الروحية بالطرق التقليدية .

2. ليس من المحال معرفة الحقيقة الذاتية للقوة الروحية ، ولكن هذه المعرفة تكون فردية ، ويشترط فيها سلوك منهج الطريقة المتخصص في هذا المجال .

مصدر القوة الروحية

ينطلق التصوف الإسلامي بشكل عام والطريقة الكسنزانية بشكل خاص في تعامله مع قضية الخوارق (معجزات أو كرامات) من نظرة خاصة للكون والإنسان والحياة وما ورائهما من عوالم لا مادية تنتهي بالمطلق الذي ليس بعده بعد .

هذه النظرة تختلف بطبيعة الحال عن النظريات السائدة في العلوم والفلسفات المادية كلها ، لأنها لا تتوقف عند حدود المادة فقط ، بل تتجاوزها لتتعامل مع بُعد آخر يعتبره الصوفية كخيط متصل في نسيج الوجود المادي كله ..

ذلك البعد يمثل وعياً مفارقاً للمادة - اذا جاز التعبير - وهو وافد لعالمنا من عالم آخر ، أي هو وعي مجرد متعالي كشكل من أشكال الطاقة يمكنه المرور عبر ثقب اسود ليتواصل بواسطته المادي واللامادي ..

وليست القوة الروحية الا نمط من أنماط هذا التواصل ، ولكنها تتميز بصفة

الفائقية على أمثالها في الظواهر الطبيعة .

فالقوة الروحية عند شيخ الطريقة الحاضر تعود إلى بُعد آخر في الوجود أو عالم آخر أوسع من هذا العالم المادي المحسوس لدرجة ان الكون كله يسبح في فضاء ذلك العالم كالذرة أو اصغر ..

إن العالم الواسع الذي يحيط بالعالم المادي ويهيمن عليه ، بل ويتخلله هو عالم روحي يسميه حضرة الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) : الحقيقة النورانية المحمدية و تلك الحقيقة هي نور مطلق يستمد وجوده من ذات الله سبحانه وتعالى ويمد بوجوده العوالم والموجودات . أي هو الوسيط النوراني بين القديم (الله) والحادث (المادة)[1] .

وعلى هذا يمكن القول ان مراتب الوجود من حيث الترتيب النظري ثلاثة :

الأولى : الله سبحانه وتعالى .

الثانية : النور المحمدي (واسطة القوة الروحية) .

الثالثة : العوالم المخلوقة .

وحسب رأينا في الطريقة ان الواسطة الروحية التي تربط بين الخالق والمخلوق هو النور المحمدي ، والمقصود به الجانب الروحي لحضرة الرسول الأعظم محمد ﷺ ، لأنه في العقائد الإسلامية والصوفية ليس كغيره من الأنبياء والمرسلين من حيث الجوهر(التكوين الذاتي) وإن كان كذلك من حيث المظهر

---

1 - أنظر :

- الشيخ محمد الكسنـزان - كتاب الطريقة العلية القادرية الكسنـزانية - ص 11-20 .

- شرح الشيخ عبد الرزاق القاشاني على فصوص الحكم للشيخ محي الدين ابن عربي - المطبعة الميمنية ، مصر 1321 هـ - ص 266 - 267 .

(التكوين الجسماني) ، فكل النـاس لآدم وآدم من تـراب ، إلا الرسـول محمد ﷺ ، أظهره الله تعالى من نوره الكريم ، فقال واصفاً ذلك : ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [1] .

فحضرة الرسول الأعظم ﷺ من الناحية الروحية نور خالد غير منته ، حاضر بين الناس في كل زمان ومكان من خلال الأنبياء والمرسلين قبل ظهوره الحسي ومن خلال القرآن الكريم ومشايخ الطريقة بعد انتقاله إلى العالم الآخر .

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء والمرسلين ليرشدوا الناس إلى الطريق الذي بواسطته تنفتح بصائرهم على الجانب الآخر من الحياة وهو الجانب الروحي ، فكان من الطبيعي ان يمد رسله وأنبيائه بشيء غير تقليدي من القوة الروحية ليرى الناس ان وراء معرفتهم معرفة أخرى ، ووراء ماديتهم أبعاد أوسع لا يستطيعون التحقق بها أو منها إلا بواسطة سلوك الطريق الخاص الموصل لها .

هنا ومن مرتبة الوسطية بين الخالق والمخلوق ، من مرتبة نورانية عليا ، من مرتبة الوصف القائم بنور الله تعالى ، من مرتبة بين الموحي والموحى اليه ، من مرتبة الرسالة بين المرسِل والمرسَل إليه ، ومن مرتبة الحكمة ، تنزلت قوة روحية فوق القوة الطبيعية المعروف في الوسط المادي لتنبه على ان هناك وراء العالم المادي المحسوس عالما آخر ، ينبغي للإنسان ان يتلمس سبل معرفته والبحث فيه ، فظهرت تلك القوة بهيئة المعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء .

---

1 – المائدة : 15 .

اذاً المصدر الحقيقي للقوة الروحية في الطريقة الكسنزانية هو النور المحمدي وهو امتداد لصفة النور الإلهي ، ومن خلال هذا النور تتنزل كل القدرات والطاقات والمعارف والإلهامات والإمكانات لمشايخ الطريقة قدس الله أسرارهم . ولعل مسألة فناء الشيخ في الله تعالى صارت واضحة بأنها لا تختلف في شيء عن الفناء في النور المحمدي ، إذ ان النور المحمدي هو صفة النور الإلهي ، وشيخ الطريقة الحاضر يستمد نورانيته وقوته الروحية من هذا النور الأزلي ، ويمد بإذن الله تعالى مريدي الطريقة بما يحتاجون اليه في إرشادهم وفعالياتهم .

المريد وانتقال القوة الروحية

يمكن توضيح آلية الربط الروحي بين الشيخ والمريد ، والكيفية التي يتم بها انتقال القوة الروحية من الشيخ الحاضر إلى المريد لغرض العلاج الخارق بالنقاط الآتية :

1- تحدث حالة الشفاء الخارق بعد ان يرتبط المريد بشيخه روحياً

2- الارتباط بالشيخ يكون عن طريق (المبايعة) وهي طقس مقدس يسميه حضرة الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) اللمسة الروحية وهي ان يصافح المريد الشيخ يد بيد ويردد كلمات يتعهد فيها بأنه يقبل الارتباط بشيخ الطريقة من ناحيتين :

الظاهرية وذلك بأن يسير على المنهج الصوفي الذي يختاره شيخ الطريقة من نوافل العبادات كالأذكار والأوراد والرياضات وغيرها .

ومن الناحية الروحية بأن تخضع روح المريد لروح الشيخ التي تستطيع وقتها ان تؤثر على باطن المريد .

3- أول أسرار خوارق العادات تبدأ من لحظة المصافحة هذه وقبول اللمسة الروحية ، فالمبايعة في الطريقة ليست مجرد مصافحة وكلمات يتم ترديدها بشكل مجرد ، بل ان شيئاً روحياً يسمى (نور الطريقة) ينتقل أثناء المصافحة من يد الشيخ إلى يد المريد ، ومنها يستقر في قلبه .

4- هذا النور (نور الطريقة) الذي ينتقل إلى قلب المريد يصبح بعد انتهاء طقس المبايعة كمحطة أو مركز لاستقطاب القوة الروحية من شيخ الطريقة فيما بعد .

5 - على المريد ان يقوي هذا المركز ويوسع من قاعدته في قلبه من خلال إتباعه لمنهج الطريقة التعبدي الذي يضعه الشيخ ، اذ ان باطن جميع الأذكار والعبادات في فكر الطريقة الكسنـزانية هو عبارة عن أنوار ربانية .

6- من ناحية ثانية يقوم شيخ الطريقة بمد ذلك المركز النوراني الذي استقر في قلب المريد بالقوة الروحية التي يحتاجها وحسب قابلية المريد واستعداده .

7 - هذا الرابط النوراني بين الشيخ والمريد قضية روحية ليس لها أي علاقة لا بالزمان ولا بالمكان ، لأن الزمان والمكان حقيقتان ترتبطان بالجانب المادي في الوجود ، بينما نور الطريقة ، حقيقة روحية ترتبط بالجانب اللامادي ، ولهذا فلا تنطبق على علاقة الشيخ بالمريد من الناحية الروحية القوانين الطبيعية بشكل عام .

8 - الارتباط الروحي بين الشيخ والمريد ارتباط دائم متصل غير منفصل من لحظة اخذ البيعة والى ما لا نهاية .

وبالتأكيد أن نور الطريقة الذي انتقل إلى المريد هو امتداد للنور المحمدي الذي انتقل إلى الشيخ من شيخه والذي أخذه عن الشيخ الذي قبله والى الزمن الذي كان فيه الرسول محمد ﷺ ظاهراً من الناحية الجسمية .

أي ان النور المحمدي قبل ان ينتقل إلى العالم الآخر أبقى هذه الصلة الروحية بواسطة إعطاءه الطريقة لخليفته الروحي الأول باب مدينة العلم المحمدي الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام واستمرت تنتقل من ذلك الزمان إلى يوم الناس هذا . فالفترة التي ظهر فيها حضرة الرسول الأعظم محمد ﷺ حددت مصير صلة العالم الروحي بالعالم المادي ، فختمت به النبوات والمعجزات وفتح به باب الولايات الكرامات .

هذه هي خلاصة التفسير الصوفي لظواهر الشفاء الخارق أو (نظرية الطب الصوفي الخارق) ، وهذه هي آليات حدوث خوارق العادات فيها ، وما يثبت هذه النصوص كلها من الناحية العلمية ، هو قبول العلم الحديث للتحدي أو العرض الذي يتقدم به الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) لإثبات القدرات الروحية الخارقة التي تمتلكها الطريقة الكسنزانية ، فإن أقرَّ العلم التجريبي صحة هذه الظواهر فلا مناص له وقتها من القبول بالتفسيرات الخاصة لها لأنها في الأصل قدرات روحية وبالتالي فتفسيرها تفسير روحي .

ولكن هل قدرة الشفاء الخارقة في الطريقة الكسنزانية متوقفة على هذه الفعاليات وحسب أم أن لها قدرات شفائية خارقة من نوع آخر ؟

الحقيقة إن آفاق الطب الصوفي في الطريقة الكسنزانية واسعة ومتعددة ، تمتد لتشمل الأمراض العضوية والنفسية والأخلاقية ، ولهذا يجدر دراستها بشيء من التفصيل .

الفصل الخامس

الظواهر الأخرى لخوارق الشفاء في الطريقة الكسنـزانية

يتسم مفهوم الطب الصوفي في الطريقة الكسنـزانية بشمولية واطلاقية تفيد التعميم ، فهو غير مقتصر على الشفاء الفوري في فعاليات الضرب التي يمارسها مريدو الطريقة ، وحقيقة الأمر عندهم أن هذه الكرامات ليست إلا مؤشرات ودلالات لما تمتلكه الطريقة من قدرات خارقة لا يمكن حصرها ولا عد تنوعها .

ان الطريقة الكسنـزانية تريد ان تخبر العالم من خلال هذه الفعاليات ان بمقدور الشيخ الحاضر للطريقة فعل المستحيل - بأذن الله تعالى - اذا كان ذلك المستحيل فيه المنفعة الشاملة للإنسانية من الناحيتين الروحية والمادية ، بمعنى أن (فعاليات الضرب) ليست مقصودة لنفسها في الطريقة الكسنـزانية بل لغيرها ، أي للكشف عن الإمكانات الشفائية الخارقة المتعددة الأخرى والتي يتعسر معرفتها أو إطلاع الناس عليها بشكل مباشر وإنما من خلال التجربة الشخصية (الذاتية) . وهذا يعد من أهم الفوارق بين خوارق الضرب في الطريقة وبين جميع الظواهر الخارقة عند غير الصوفية.

ومن تلك الإمكانات الخارقة التي تمتلكها الطريقة الكسنـزانية :

1. علاج الأمراض الجسمية .
2. علاج الأمراض النفسية .
3. علاج أمراض القلوب المعنوية .

إن الطريقة تتعامل مع هذه الأمراض في ضوء الطب الروحي من حيث تشخيص الأمراض (آفاتها وأعراضها) ، وعلاجها (أدوائها) وشروط الوقاية وما تتضمنه من كيفية المحافظة على الصحة واعتدالها ، وكما مبين في المباحث التالية :

المبحث الأول

الكسنزان
وعلاج الأمراض الجسمية

اذا كانت ظواهر الشفاء الخارق في الطريقة تتجسد في فعاليات الضرب التي يقوم بها مريدو الطريقة ، فلا حاجة إلى البحث في مجال الطب الجسدي ، فالطريقة التي يتعامل بها شيخ الطريقة مع فعاليات الضرب يمكن ان يتعاملوا بها مع غيرها من الأمراض الجسدية ، مهما كان نوع المرض ودرجة خطورته ، أي انه لا يوجد في الطب الصوفي تحديد معين لنوع المرض الذي يمكن معالجته ، لأنها من جملة كرامات مشايخ الطريقة ، وعن هذه الإمكانية المفتوحة يقول حضرة الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) :

« إن محاولة تحديد ما هو ممكن حصوله من معجزات أو كرامات هي ليست محاولة لتحديد ما يمكن ان يظهر على يد النبي أو الولي من خوارق العادات ، وإنما هي محاولة لتحديد ما هو في مقدور الله سبحانه وتعالى ، وليس لقدرة الله من حدود »[1] .

ولكن يجدر الإشارة إلى بعض الفوارق الشفائية في هذا النوع من الخوارق عن تلك الموجودة في فعاليات الضرب ، وهي :

1 – الشيخ محمد الكسنزان – الطريقة العلية القادرية الكسنزانية – ص 158 .

1. ان خاصية الشفاء فورية في فعاليات الضرب ، بينما تأخذ بعض الوقت في خوارق الشفاء الجسمية .

2. خاصية الشفاء في فعاليات الضرب لا تعتمد على أي وسائل مساعدة مهما كانت ، أي ان الشفاء يحصل فيها بصورة تلقائية ، أما في الخوارق الشفائية المتعلقة بالجسم فقد يعطى المريض بعض الأدوية الرمزية كوسيلة مساعدة للشفاء.

والجانب الخارق هنا ان الأدوية الرمزية التي تعطى للمريض لا علاقة لها البتة بنوع المرض من الناحية الطبية التقليدية ، فعلى سبيل المثال قد يعطى المريض بالعقم ثلاث تمرات ، أو قد يعطى المصاب بالحساسية الشديدة شيء من ماء التكية أو ما شابه ، وبالرغم من ذلك فإن عدد كبير من المرضى يشفون .

3. نسبة الشفاء الفوري الخارق في مجال فعاليات الضرب 100% بينما الشفاء للأمراض الجسمية ممكن الحدوث ، فالمريض ربما يشفى وربما لا . والمهم ان الحالات التي يحصل فيها الشفاء هي خارقة بلا شك ؟

ولكن لماذا هذا التأرجح في نسبة الشفاء ؟

ولماذا لا تحصل بنسبة 100% كما هو الحال في فعاليات الضرب اذا كانت هذه الظواهر تؤكد الخارقانية الشفائية في الطريقة ؟

يرى السيد الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) ان القوة الروحية الموجودة في الطريقة الكسنزانية ، هي قوة مطلقة لأنها - كما أشرنا - مستمدة من مرتبة الروح الأعظم ، فما لها من نفاد . وللحصول على هذه القوة والاستفادة منها ، هناك طريقة صوفية خاصة ينبغي على الإنسان ان يأخذها ويلتزم بها

ليتحقق له الاتصال بتلك المرتبة والاستفادة منها متى شاء ذلك ، ووصول الناس إلى الحالة التي يستطيعون بها الاتصال بهذه الروح هو أهم أهداف الطريقة . ولهذا لا يقبل السيد الشيخ محمد الكسنزان ان توصف التكية (الطريقة) بأنها مستشفى للأمراض ، ويؤكد على انها مدرسة روحية تسعى إلى إيصال الناس إلى مرتبة روحية تسمى في الإسلام مرتبة (التقوى) ومن يصل إلى هذه المرتبة يصبح (مستجاب الدعوة) ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [1] أي يمتلك الخاصية المفتوحة للاستفادة من القوة الروحية متى يشاء ، كتلك التي عند عباد الله الصالحين الذين اذا اقسموا على الله تعالى أبرَّهم .

ان الفرق بين ان تعطي احدهم نقوداً هو بحاجة ماسة لها، فيأخذها وينفقها وينتهي الأمر ، وبين ان تعطيه عملاً مميزاً يدر عليه المال الذي يريد متى يشاء ، هو الفرق بين دور الطريقة كمستشفى وبين دورها كمدرسة روحية ..

أي ان أهداف الطريقة أوسع وأعمق من مسألة الشفاء الجسدي الذي يعد عندهم محدوداً بالنسبة إلى الشفاء القلبي الذي يصل بواسطته الإنسان الى الحياة الروحية الدائمة ، وبالنسبة إلى الشفاء النفسي الذي يصل الإنسان بواسطته إلى صلاح الحياة الاجتماعية ..

لهذا فإن الشفاء الجسدي الخارق في الطريقة مقرون بأهداف تتعلق بقضايا التقوى سواءٌ للمريض أو لبقية الناس ، وبحسب التعبير السائد في الطريقة : إن المشايخ اذا رأوا بنور بصيرتهم أن الشفاء الخارق لمريض معين مهما كانت حالته تساعد المريض أو غير المريض - ممن هم على علم بحالته - على سلوك

---

1 - الطلاق : 2- 3 .

طريق الاستقامة بصدق للوصول إلى مرتبة التقوى، فأن المشايخ لا يترددون في مساعدته روحياً والتدخل لحصول الشفاء الخارق خلال فترة قصيرة . ولهذا فالحالات الشفائية الخارقة بالنسبة إلى الأمراض الجسدية في الطريقة ليست فورية ولا هي شرط لازم لجميع المرضى .

ما تقدم يعطينا تصور معين عن إمكانية ظهور (كلية الطب الصوفي) والتي يمكن ان تخرج أطباء قادرين على معالجة أنفسهم وتربية من حولهم روحياً على هذا النوع من الطب القائم على أساس التقوى وليس المختبرات الطبية .

كما ويعطينا تصور عن إمكانية الجمع بين الطب الحديث والطب الصوفي في علم يراعي فيه العلماء القدرات الصوفية ، ويعتمد فيه الصوفية على مقدرات العلوم الطبيعية ، لتكوين ما يمكن تسميته بـ (الطب الشامل) .

ولا شك أن مثل هذه الخطوة ان اتخذت فإن النتائج المؤمل الحصول عليها سوف تحقق أعظم نقلة نوعية في تاريخ البشرية كلها ، اذ على المستوى الطبي يمكن ان تتغير معظم المقاييس نحو الأفضل ، ويمكن ان يفتح الباب امام بقية العلوم التي لا زالت تنظر بعين أحادية إلى الكون لترى بمنظار آخر ، منظار الروح والمادة .

واذا كنا نعرض تصوراتنا هنا والتي قد تبدو خيالية أو استباقية ، فأن لنا ما يبرر هذه التصورات ، فمنذ النصف الأول للقرن العشرين والحاجة تبدو ماسة لإثبات هذه الإمكانية ، ليس بين أصحاب العلوم الطبيعية فحسب بل بين علماء الاجتماع أيضاً ، لأن الأمر يمس الحياة الاجتماعية بشكل كبير خاصة في

المجتمعات الشرقية ، ولهذا وفي معرض ذكر جمعية متخصصة في المباحث النفسية الخارقة أسست في لندن سنة 1882 م ، وكتب لها النجاح أكثر من نصف قرن وفتحت فروع لها في فرنسا وأمريكا وهولندا والدنمارك والنروج وبولندا وغيرها ، وقد جمعت في سجلاتها عدداً كبيرا من الوثائق ، لم يتردد الدكتور علي الوردي من القول عنها : « نحن نتمنى ان يؤسس فرع لها في العراق ، ففي هذا البلد نسمع عن كثير من الخوارق ، وطالما استهزأنا بها ، ونحن نريد ان نضع حداً لهذا النزاع العقيم بين من يصدق بها ويكذبها ، فمن السهل جداً ان نؤلف لجنة علمية محايدة تبحث في صحة الأخبار التي يتناقلها الناس هنا عن كرامات الأولياء والمتصوفة أو عن غرائب العرافين والسحرة وما أشبه . لعلنا نعثر من بين هذه الأكوام ... على قسط صغير من الحقيقة قد يكون له شأن كبير في تفكيرنا العلمي »[1] .

وما يبرر تصوراتنا - التي اشرنا لها - الصحوة العلمية والفكرية التي بدأت تخرق حجاب المنظور المادي المتفرد للعلوم كما في تجارب الطبيب والروحاني الياباني (موتوياما) وكما في الأصوات التي بدأنا نسمعها تطالب بتوثيق هذه الظواهر الخارقة واختبارها علمياً ، بل والدعوة إلى إنشاء مراكز علمية متخصصة في هذا الشأن . ومن تلك الأصوات، الدعوة إلى إنشاء مراكز لتوثيق ظواهر الشفاء الإعجازي وهي دعوة تسعى إلى تركيز الأضواء علميًّا على معجزات الشفاء الإعجازي من خلال القيام بتوثيق شمولي وكامل لكلِّ الحالات التي ينطبق عليها هذا الوصف.

---

1 – د. علي الوردي – خوارق اللاشعور – ص 145 .

وتقع مسؤولية تنفيذ هذه المهمة على عاتق علماء من اختصاصات متعددة :
فهي مسؤولية المؤرِّخ الذي يجب أن يقوم بما قام به المؤرِّخون العرب الأوائل الذين دوَّنوا معجزات رسول الله ﷺ وكَرامات آل بيته الأطهار عليهم السلام وصَحْبه الأبرار رضوان الله عليهم .

وهي مسؤولية الطبيب الذي يجب أن يدرس حالات الشفاء الإعجازي دراسة تفصيلية ويسجِّل الوصف الطبي لكلِّ حالة وصفًا دقيقًا .

هنالك طبعًا مسؤولية رجل الدين في الاستشهاد بهذه الكرامات عند الإرشاد وبشكل عام ، فإن العلماء ، من مختلف الاختصاصات ، تقع عليهم مهمات مختلفة في هذا المجال .

ومسألة توثيق ظواهر الشفاء الإعجازي ليست بالبساطة والسهولة التي قد تبدو عليها للوهلة الأولى ، إذا كان الهدف تصنيفًا علميًّا دقيقًا ، لا يقلُّ دقة عن السجلاَّت الطبية .

وبالتأكيد فإن شرط الدقة هذا هو أمر لا يمكن التهاون فيه إطلاقًا. كما أن مهمَّة توثيق حالات الشفاء الإعجازي لا يمكن أن تكون عملية فردية يقوم بها شخص معيَّن بالذات ، أو أفراد يعملون بشكل فردي هنا وهناك. فهذه المهمة الدقيقة تستوجب شروطُ تنفيذها تنفيذًا سليمًا أن تقوم بها جهةٌ رسمية مسؤولة ومتفرِّغة لهذه المهمة. كما أن القائمين على أمر هذه المؤسَّسة يجب أن يكونوا من أصحاب الدراية بالمناهج العلمية المتَّبعة والمقترَحة عالميًّا لتوثيق هذه الظواهر .

ومما لا شكَّ فيه أن هذه المؤسَّسة المقترحة يجب أن تضمَّ نخبةً من العلماء في مجالات متعددة ، واختصاصيين في فروع الطبِّ المختلفة، ممَّن ستقع على

عاتقهم مسؤوليةُ تقديم تقويم طبِّي شامل للحالات المعروضة، وتحديد إذا كانت ممَّا يجب أن يصنَّف على أنه حالات شفاء إعجازي، ليصار بالتالي إلى توثيقُها توثيقًا تفصيليًّا.

إن المعلومات الواجب ملاحقتُها وأرشفتُها عند توثيق ظواهر الشفاء الإعجازي والخطوات المهمة التي يجب القيام بها لغرض توثيق علمي دقيق لهذه الحالات هي :

1. تشخيص طبِّي لمرض الشخص أو عاهته قبل الشفاء ، على أن يكون التشخيص مفصَّلاً ومُصاغًا بلغة علمية طبية دقيقة ، ومن قِبَلِ جهة طبية رسمية أو طبيب مرخَّص ، ومن المستحسن جمع آراء أكثر من طبيب إن أمكن .

2. تدوين دقيق للتواريخ التالية :

أ. ولادة الشخص .

ب. بداية ظهور الأعراض .

ت. المراحل الرئيسية لتطور الحالة المرضية .

ث. مراحل العلاج الطبِّي التقليدي الذي خضع له الشخص .

ج. بداية الشفاء الإعجازي ومراحله .

3. الحالة الصحية العامة للشخص والعوامل التي يمكن أن تكون قد أثَّرتْ على الحالة المرضية، سواء سلبًا أم إيجابًا .

4. تقارير وتحاليل مختبرية، وبالذات تحاليل لنماذج من الأنسجة الحية (خزعات biopsy)، إضافة إلى الأشعَّة السينية.

5. تقويم من طبيب (إن أمكن فمِنَ الذين سبق لهم الإشراف على الحالة المرضية للشخص) ، يصف فيه حالة الشفاء الإعجازي، سواء كان تدريجيًّا أم مفاجئًا.

6. وصف لما كان يتلقّاه المريض من علاج طبي تقليدي (إن وُجِدَ) في وقت حدوث الشفاء الخارق (إن كان تدريجيًّا).

7. التوثيق التصويري (الفوتوغرافي والفيديوي) للموضع من الجسم الذي حدث فيه الشفاء الإعجازي إذا كان من الأعضاء الخارجية للجسم . ومن المهم جدًّا هنا الحصول على أية صور أو أفلام سابقة تبيِّن الجزء المصاب أو المريض قبل حدوث الشفاء ألإعجازي.

8. متابعة الشخص المُشافى شفاءً إعجازيًّا لمدة من الزمن، تعتمد على نوع الإصابة أو المرض، بغرض تثبيت الزوال النهائي للمرض وضمان عدم المعاودة .

9. وصف للظروف وللكيفية التي حدث فيها الشفاء الإعجازي، سواء كان وصفًا للمكان المقدس، أو وصفًا للممارسة الدينية التي سبَّبت الشفاء ، أو غير ذلك من التفاصيل ذات العلاقة. ومن المستحسن تدوين وصف أكبر عدد ممكن من شهود الحالة، ضمانًا لتسجيل أكبر قدر ممكن من التفاصيل .

10. تسجيل الرأي الشخصي للمريض حول حالته المرضية وانطباعاته عن حالة الشفاء الإعجازي التي شهدها. ومن الأفضل ترك الحرية للشخص في ذكر ما يعتقده ذا صلة بموضوع شفائه.

11. بخصوص حالات الشفاء الإعجازي التي كانت قد حدثت سابقًا (قبل إنشاء مركز التوثيق) فبالإمكان القيام بتوثيقها وأرشفتها وتسجيل ما يستجد من حالات، على أن تكون الجهة الموثّقة قادرة على الحصول على الوثائق التي تضمن توفير متطلبات الأرشفة السليمة المذكورة.

12. محاولة التوثيق الفيديوي لشهادات المعنيين، بدءًا من الشخص نفسه ومرورًا بالأطباء وانتهاء بالشهود الآخرين.

13. إدخال المعلومات التي تخصُّ كلَّ الحالات المدروسة في منظومة تحليل معلومات كومبيوترية، ليتسنَّى للباحثين استخراج البيانات الإحصائية حول حالات الشفاء الإعجازي.

14. تقوم جهة التوثيق بإدامة الاتّصال مع القائمين على أمور الأماكن المقدَّسة التي تتكرَّر فيها ظواهر الشفاء الإعجازي، كالمزارات والمقامات والزوايا والتكايا، بغرض الكشف العلمي على الحالات في أسرع وقت والقيام بعملية التوثيق اللازمة.

15. القيام بحملة إعلامية للتعريف بالجهة المسؤولة عن هذا التوثيق وواجباتها وأهدافها، وتشجيع الأشخاص الذين يحصل لهم شفاء إعجازي ، أو ذويهم ، على الاتصال بالجهة الموثّقة للكشف على الحالة وتوثيقها.

إن هذه بالتأكيد نظرة سريعة على نوعية المعلومات التي يجب أن تسعى جهة التوثيق إلى الحصول عليها وكيفية إتمام ذلك. كما أن وضع معايير التوثيق والتقويم هو أمر أعقد بكثير من هذه اللمحة المختصرة والمبسَّطة . وهذا الأمر هو من أهم واجبات الجهة التوثيقية. فمثلاً ، من الأمور البديهية أن لكلِّ حالة

ظروفها الخاصة التي تستوجب توثيقًا استثنائيًّا لجوانب معينة . وبالتالي ، فإن المنهج الذي يوضع للتوثيق يجب أن يكون مرنًا مرونة كافية وديناميًّا ، بما يضمن التعامل مع الحالة قيد التوثيق بشكلٍ استثنائي، حيثما كان ذلك ضروريًّا.

ومن الأمور التي سيكشفها إنشاء مراكز التوثيق المقترحة هذه هو أن حالات الشفاء الإعجازي هي أكثر بكثير مما يعتقد معظم الناس. كما أن الدراسات الدقيقة التي ستقدِّمها هذه المؤسَّسات التوثيقية ستسلِّط الأضواء تسليطًا مركَّزًا على تفاصيل هذه الظواهر .

المبحث الثاني

الكسنزان
وعلاج الأمراض النفسية

للنفس والمباحث النفسية مكانة متميزة في الطريقة لأن النفس عندهم هي الحجاب الأول الذي يمنع الإنسان من الارتباط أو الاتصال بالعالم الروحي ، كما انها في الوقت نفسه الحجاب الذي لا يمكن تجاوزه أو تجنبها لتحقيق ذلك الاتصال ، أي لا يمكن الوصول إلى ذلك الارتباط إلا من خلالها . فالنفس عند الصوفية هي الفاصل الأول بين العالم المادي والعالم اللامادي ، وهو فاصل حيوي فعال يتطلب معاملة خاصة يسميها الصوفية (المجاهدة) ليتمكن الصوفي بعدها من الانتقال إلى المرحلة التي تليها. ولهذا يصف حضرة الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) النفس الإنسانية بأنها « مضمار الصراع الذي خاضه أهل الطريقة انتصاراً أو انكساراً أو كراً أو فراً ، وذلك لأنها الرفيق المخادع ، فيها التقوى والفجور وهي مفتاح النجاة والهلاك »[1] .

واذا كانت خوارق الطب الصوفي والشفاء الخارق الذي تتبناه الطريقة الكسنزانية قد برزت بشكل واضح وجلي في فعاليات الضرب وفي شفاء بعض الأمراض الجسمية الخطيرة أو حتى الممتنعة الشفاء طبقاً للمقاييس التي توصل لها الطب الكلاسيكي لحد الآن ، فلا شك أن دور هذه القدرة الشفائية في المجالات النفسية يمكن ان يكون أوسع واشمل ، وذلك لأن الأمراض في المجال النفسي

---

1 – الشيخ محمد الكسنزان – الطريقة العلية القادرية الكسنزانية – ص 102 .

هي اقرب إلى العالم الروحي منها إلى العالم المادي .

وقبل الدخول في تفاصيل الأمراض النفسية والشفاء الصوفي لها ينبغي التفريق بين نوعين من الأمراض النفسية :

النوع الأول : تلك الأمراض المعروفة في الطب النفسي كالأكتئاب والقلق والوسواس القهري وغيرها ، وهي في الغالب تكون نتيجة مؤثرات خارجية موضوعية (اجتماعية أو فكرية أو عقائدية موروثة أو غيرها) .

النوع الثاني : الأمراض التي تتعلق بصفات النفس وشهواتها كمرض البخل والحسد والنفاق وغيرها ، وهذه الأمراض في الغالب تكون ذات منشأ ذاتي نابع من طبيعة النفس ذاتها.

ان النظرة الشائعة عن الصوفية بأنهم متخصصين في النوع الثاني من الأمراض دون الأول ، ولكن القدرة الروحية الشمولية للطب الصوفي الخارق ليس لها حد - كما اشرنا إلى ذلك سابقاً - لأن قدرة الشفاء تلك مستمدة من المصدر المطلق سبحانه وتعالى[1] .

قبل ان ندخل في تفاصيل الأمراض المعروفة عند علماء النفس يجدر بنا الإشارة إلى المعايير التي من خلالها يمكن معرفة الصحة أو المرض النفسي ، سواء في نظر الطب النفسي أو الفكر الديني أو على مستوى الطب الصوفي .

1 – وسوف نعرض لأمراض النوع الأول في هذه الفقرة بينما نبحث النوع الثاني في الفقرة التي تليها لصلتها بها .

معايير الصحة والمرض النفسي

هناك تشابه كبير بين الصحة النفسية والصحة الجسدية من جهة ، وتباين كبير بينهما من جهة أخرى ، فأما وجه التشابه فهو ان كلاً منهما يعني وجود حالة من التوازن والتعادل بين القوى تقتضي أن يمارس الفرد نشاطاته الفردية والاجتماعية بشكل طبيعي بعيداً عن الألم الجسدي أو التوتر النفسي .

أما وجه الاختلاف والتباين فهو أن المعيار للصحة البدنية معروف للجميع ، ولا يكاد يختلف فيه اثنان ، إلا إن الأمر يختلف في المرض النفسي ، فلحد الآن لا يوجد معيار وشاخص للصحة والمرض النفسيين لدى علماء النفس ، وكذلك على صعيد العرف الاجتماعي وما يحمله من ثقافات وقيم أخلاقية ودينية .

لذا فنحن أمام موضوع يتطلب معرفة المعيار الذي تتحدد به الصحة النفسية وكذلك المرض النفسي ، والفرق بين المرض النفسي والأزمة النفسية ، وبين المرض النفسي والمرض الأخلاقي .

على الصعيد الصوفي ، الصحة والمرض تأخذ طابعاً آخر غير ذلك الموجود عند علماء النفس الذين يذهبون إلى القول بأن التوافق مع المحيط الاجتماعي هو معيار الصحة النفسية فأن عجز الفرد عن إقامة هذا التواؤم والانسجام بينه وبين بيئته قيل أنه معتل الصحة النفسية [1].

ورغم ان هذا المعيار يصدق على أكثرية الموارد إلا انه لا يقوم على أساس معقول ومنطقي من حيث إمكانية ان يكون عدم التوافق يعود إلى انحراف المجتمع لا إلى الفرد ، وعدم توافق الأنبياء والمصلحين مع أقوامهم ومجتمعاتهم ،

1 – د . عزت راجح – أصول علم النفس – ص 470 .

فليس كل مورد لعدم التوافق يكون الفرد هو الملوم وهو المريض .

وأما على صعيد الفكر الإسلامي وفلاسفة الأخلاق ، فالصحة النفسية هي في وجود حالة من التعادل بين سائر القوى والدوافع الجسدية والنفسية والروحية ، وهو ما يعبر عنه بالحد الوسط بين الإفراط والتفريط في أبعاد الإنسان المختلفة ، والمرض النفسي بعكس ذلك ، أي عدم وجود التعادل والتوازن بين متطلبات القوى الشهوية والغضبية والعقلية [1].

والمتمعن في هذا الرأي يستطيع بسهوله معرفة ان هذا التقسيم مستورد من الفلسفة اليونانية ، وإن كان هذا المنحى القرآني يستوعب هذا التقسيم العقلي ويقره ، إلا انه لا يقتصر عليه ، بل يأخذ بنظر الاعتبار كافة أبعاد الإنسان الأخلاقية والروحية مع الاشتراك في محورية التوازن والاعتدال، الا انه لا يتقيد بالتقسيم الرباعي المذكور . فهو يأخذ الأخلاق بنظر الاعتبار دون سواها ، فالجهل مثلاً لا يعد مرضا نفسياً ، مضافاً الا انه لا يمكن اتخاذ هذا المعيار مقياساً لكل الحالات فأين الحد الوسط بين الصدق والكذب، الأمانة والخيانة ، الطاعة والمعصية ...؟

فضلاً عن ان المصابين بالأمراض النفسية يجدون حاجة نفسية شديدة لسلوك معين وكأنه مفروض عليهم من الخارج، فالمصاب بالكآبة المزمنة والذي يجد راحته في العزلة والنسيان والشرود لا معنى ان يقال له : عليك بالحدّ الوسط بين الإفراط والتفريط في كل أشكال السلوك ، لأن حاجته النفسية تختلف عن الإنسان السوي .

---

1 - مسكويه – تهذيب الأخلاق – ص 164 .

أما الصوفية فيذهبون إلى ان علة الأمراض النفسية تكمن في وجود (النفس الأمارة) وسيطرتها على فكر الإنسان وقلبه ، بل (الأنا) في مرحلة من مراحل الحياة الإنسانية هي المرض بعينه ، وهي المصداق الحقيقي للنفس الأمارة ، والطريق إلى الصحة النفسية ينحصر في عدم طاعتها واتباع أوامرها .

وخلاصة الصحة النفسية تتلخص عندهم في حالة الاعتدال بين ثلاثة أركان وهي : الله ، النفس ، المجتمع ، فإذا استطاع الفرد الإرضاء النسبي لكل من هذه الثلاثة فهو إنسان طبيعي وسالم ، وإلا فلا .

وكل وصايا الصوفية في مجال معاملة النفس وإصلاحها يمكن تلخيصها في إنهم يدعون الإنسان إلى تقوية الدوافع المعنوية والميول الخيرة في أعماق وجدانه وروحه ليحقق لشخصيته التعادل النفسي (الاستقامة) المطلوب .

نماذج من أمراض العصر النفسية

وإذا استعرضنا عدداً من أمراض العصر النفسية فسوف نجد انها كانت السبب وراء تدهور الحياة الاجتماعية في كثير من الأوساط بين شعوب العالم . ومن تلك الأمراض مثلاً : الاكتئاب ، القلق ، اليأس ، الوسواس القهري ، المخاوف المرضية ، المس الشيطاني ، السحر ، الحسد والإصابة بالعين وغيرها . وفيما يلي عرض موجز لنماذج من تلك الأمراض ورأي كل من الطب النفسي والطب الصوفي في علاجها .

أولاً : مرض القلق

القلق هو انفعال معين ، فهو حالة شعورية مصحوبة بتغيرات فسيولوجية داخلية ، وتأهب حركي خارجي ، وموضوعه الخوف من شيء مجهول أو توقع خطر غير معروف [1] .

وللقلق مثل الانفعالات الأخرى ، درجات طبيعية وأخرى مرضية ، والقلق المرضي غير طبيعي لأنه يستبد بالشخص بدون سبب ، وانفعالاته غير متوقعة . وقد يترتب على هذا المرض النفسي أعراض جسدية عديدة منها :

- الضعف العام والإعياء الذي يصل إلى حد الانهيار .
- الصداع والدوار وعدم الشعور بالتوازن .
- اضطراب العمليات الحيوية للجسم مثل العمليات الهضمية.
- اضطراب النوم والنبض والتنفس واختلال التوازن العصبي والهرموني والدموي .

---

1 – محمد عز الدين توفيق – التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية – ص 388 .

- الاضطراب الحركي كالارتجاف والصراخ والتنهد .

- أمراض نفسدية (نفسية - جسدية) مثل داء السكر.

- فقدان الشهية ونقص الوزن .

هذا فضلاً عن الأعراض النفسية :

- العصبية والتوتر والهياج لأتفه الأسباب .

- الخوف الزائد وما يرافقه من الرعب والفزع .

- الشرود والنسيان وصعوبة التركيز .

- سوء التوافق الأسري والمهني .

والعلاج في الطب النفسي لهذا المرض لا يتجاوز تحليل الأسباب أمام الشخص وإسعافه بالأفكار البناءة التي يدفع بها تلك الأسباب ويخفف بها من القلق الناشئ عنها ، فأول خطوة يقوم بها المعالج هي إقامة علاقة ايجابية مع المريض تمكنه من التعبير عن نفسه ومشاكله ، وبعد ذلك تصنف أسباب قلقه .

والخطوة الثانية هي تقديم المشورة النفسية اللازمة ، وهنا لا بد ان يتبنى المعالج منهجا في تفسير أعراض القلق التي يبوح بها المريض .. فإذا كان سبب القلق معنويا أو وجوديا كالتساؤل عن غاية الحياة ومصير الإنسان بعد الموت وحكمة خلق المخلوقات ، فان العلاج يركز على إفهام المريض لأفكار مفعمة بالأمل والتفاؤل وما إلى ذلك . وإذا كان سبب القلق صراعا بين دوافع لا يدري كيف يختار بينها فهو يتردد بين اختيارين في غالب الأحيان ، كأن يخير بين وظيفتين أو صديقين أو خطيبتين ، فالعلاج هو تقديم المعايير المقبولة لهذا الشخص للترجيح والاختيار، استناداً إلى نظريات معينة .

والواقع ان هذا النوع من العلاجات النفسية وان لاقى بعض النجاح في بعض الحالات الا ان ذلك النجاح وقتي ، لأن الإنسان المصاب بهذا النوع من القلق لا يلبث ان يفقد الإحساس أو التفاعل مع الأفكار التي قدمها له المعالج .

وفي تقديرنا ان الخلل في هذا العلاج يرجع إلى ظن المعالج النفسي انه يتعامل مع نفس المريض ، والواقع انه يتعامل مع عقله وأفكاره ، بمعنى انه يحاول معالجة نفسه من خلال بوابة العقل بواسطة الأفكار المقترحة .

قد يكون للعقل بعض التأثير على النفس إذا كان ذو تفكير منطقي، ولكن إلى متى يمكن أن يصمد التسلسل المنطقي أمام هواجس النفس وتقلباتها وقلقها ..؟

لا تلبث الهواجس النفسية أن تنسي المريض التسلسل الفكري الذي اقترحه المعالج ، ليجد المريض نفسه في متاهة جديدة من الأفكار حول الوجود والحياة وأسرار الخلق وغاياته ، ومن جهة ثانية فأن إفهام المريض لبعض المعايير التي يمكن أن يختار على أساسها ، قد ينهار أمام أي اختيار لا يرى المريض انه يدخل ضمن القواعد التي شرحها له المعالج وهنا يجد نفسه في قلق جديد ، هل يلجئ إلى المعالج ليتعلم المعايير لهذه المسألة أم يجتهد هو ويقرر ..؟

ولم نجد أي وسيلة أو طريقة تستطيع تجاوز محطة العقل لتخاطب النفس وتعالجها بشكل مباشر سوى (الطب الصوفي) وذلك لأنه يعتمد على آلية إيمانية عملية قادرة على اختراق كل الحجب الفكرية لتتصل مع النفس ، وهي آلية يمكنها أن تنور باطن النفس الإنسانية ، وهذا التنوير يكشف للنفس الحقائق الروحية ، والتي تمثل الإجابات الشافية لكل الأسئلة والخواطر التي تقض مضجع المريض ، فإذا ما حصلت النفس على إجاباتها الشافية ، فإنها سوف تبث للعقل

بدل الخواطر والوساوس ، علوما ومعارف مما اطلعت عليه وشاهدته عن ملكوت السماوات والأرض .

إن أهل الطريقة يرون ، ان العلاج لهذه الأسئلة - وما يترتب عليها من قلق - هو السير في منهج روحي يوصل العبد إلى أهلية التلقي اللدني ، وهو المنهج الموصل إلى اليقين المشار إليه في قوله سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾[1] ، فعندما يصل الإنسان إلى هذه المرتبة المعرفية فسوف يشهد بحواسه القلبية ما لا يستطيع العقل إدراكه بقوته الفكرية ، وحينئذ تطمئن النفس وتستقر فيذهب القلق ويحل محله الأمان والاطمئنان .

والحال ذاته مع الشخص الذي يفتقد إلى معيار الاختيار ، بسبب الخوف من المجهول الذي يترتب على ما سيختار ، وهذا المريض من وجهة نظر الطب الصوفي ، اذا ما سار على منهج التقوى الذي تقدمه الطريقة والمتأسس على ذكر الله تعالى وفق شروط معينة - سيلي بيانها ان شاء الله تعالى – فأن قلبه يصل إلى مرتبة الاطمئنان لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[2] ، ومن يصل قلبه إلى هذه المرتبة ، فلا خوف عليه من قلق ولا هو يحزن من حيرة ، لأن نور الذكر سيجعل في ذات نفسه همة وعزيمة على اختيار الأقرب إلى مراد الحق تعالى .

ان الوصول إلى الحالة التي يمكن للإنسان فيها ان يفرق بين البر والإثم ، أو بين ما يختار وما يترك بشكل عام ، لا تحصل في نظر أهل الطريقة إلا بعد

---

1 – النعام : 75 .

2 – الرعد : 28 .

السير على خطوات محددة في منهج التقوى ، وهي ما سنوضحه لاحقا بشكل أوسع ان شاء الله تعالى .

ثانياً : مرض العبثية وفقدان الأمل

يكثر هذا المرض عند الكهول حيث يشكون اضطرابات نفسية عميقة ناشئة من تفكيرهم بالموت وإحساسهم بالعبثية وفقدان الأمل في حياة نشيطة ومفعمة بالحب والاحترام والقيمة في نظر الآخرين .

هذا المرض لم يجد له علماء النفس حل واضح ومنطقي سوى بعض التوصيات بتناسي المشكلة والتغافل عن الواقع من خلال الهروب نحو الطبيعة والانشغال بالهوايات المسلية وجلسات الأصدقاء وأمثال ذلك .

ومعلوم ان مثل هذه التوصيات لا تمثل علاجاً لحالة الكآبة والاضطراب النفسي الذي يعاني منه الفرد وهو على أعتاب الشيخوخة والموت .

وأما العلاج النفسي الصوفي لهذه الحالة فينطلق من قاعدة المعرفة الحقة بسر الحياة الأبدية ، وبسر الخلود الإنساني كما يصف الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) ، وهذا السر يتلخص في أن إمكانية وصول الإنسان إلى مرتبة (الشهادة) والتحقق بخصائصها الروحية ، وحقيقة هذه المرتبة كما يرى الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) هي كونها حالة يستطيع الإنسان فيها ان يرى الآخرة رأي العين ويتعامل معها وكأنه فيها بالرغم من انه ما زال في الحياة الدنيا ، فاذا ما تحقق الإنسان بأن حياته لن تعدم ولن تفنى ، وإذا ما شاهد بعين القلب ما أعده الله تعالى لعباده المتقين من النعيم المقيم ، فوقتها لن يخشى من الموت ، بل لن يشعر بأن هناك كابوسا مرعبا اسمه الموت ، والأحاسيس التي ستتغمده هي أنه سينتقل من حياة إلى حياة ،

وليس بينهما إلا اقل من طرفة عين ، وربما يستبطئ الانتقال ويشتاق إليه ، فلا أجمل ولا أكمل من رفقة أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في عندية [1] الله سبحانه وتعالى .

هذه الرؤى والأحاسيس لا ينالها العبد ما لم يصل إلى مرتبة الشهداء وهم الذين يجاهدون أنفسهم في سبيل الله ، بالذكر والطاعة ووفق منهج روحي كامل ، ولهذا فأن أهل الطريقة يرون أن العلاج لمثل هذه الحالة المرضية لا يكون بتأثير الأقوال بل بحقائق الأحوال .

ثالثاً : الاضطرابات النفسية نتيجة الشعور بالإثم

الشعور بالإثم والمعصية يحصل نتيجة بعض السلوكيات السلبية في حياة الفرد ، وهذا الشعور لا ينبع من العقيدة أو من إيمان الشخص بالقضايا الدينية ، بل هو صوت الضمير الأخلاقي في باطن الإنسان ، وعليه فهو إحساس مستقل عن المصدر الديني للإنسان ، وهذا الإحساس بالإثم يتعاظم عند البعض فيورث الخوف والاضطراب في ذات الإنسان، وعلاج الطب النفسي لهذه الحالة واضح الفشل لأنه يدور في فلك النسيان والتغافل ، الأمر الذي ثبت عدم جدواه في معظم الحالات .

أما في الطب الصوفي فأن العلاج يكون بالعكس تماما ، فهو يتخذ من قاعدة (التوبة) أساساً في التخلص من آثار هذه الآثام ، والمقصود بالتوبة والتي يعرفها الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) بأنه : الرجوع إلى الله ، هي الأمور التالية :

---

1 – العندية : مصطلح صوفي يراد به وصول العبد روحيا إلى مرتبة الحضرة الإلهية ، وهي عند الشيخ ابن عربي ظرف ثالث لازماني ولا مكاني (برزخي) ، أنظر : موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان – ج16ص 320 .

أولا : الاعتراف بالذنب أو الإثم أو التقصير ، أي المواجهة مع النفس وخطئها لا الهروب والتغافل .

ثانيا : محاولة التكفير عن ذلك الخطأ بالتعويض أو الإصلاح .

ثالثا : العزم الأكيد على عدم العودة لمثله .

رابعا : التقين من ان النادم على الذنب كمن لا ذنب له .

وبعبارة أخرى ، ان هذه العملية تعيد للإنسان ثقته بنفسه وبقدرته على مواجهة أخطاءه وإصلاحها .

ولكي يصل هذا الشخص إلى هذه القدرة يحتاج إلى دفعة روحية خاصة تمكنه من القفز على نقاط الضعف في نفسه والتي تحبط من عزيمته للقيام بها ، كما ويحتاج إلى منهج متخصص من الذكر والاستغفار يستمد منه الأمان والعزيمة ، وهذه الأمور وما يلحق به توفره مناهج الطب الصوفي بشكل دقيق ومفصل .

رابعاً : أمراض يسببها القانون

هناك إصابات مرضية كثيرة اجتماعية المنشأ ، أي ان المجتمع والقانون والحكومة الجائرة تقف وراءها ، والأمراض النفسية المتكونة من هذا المدخل من شأنها ان تثير حفيظة الفرد وتجعله يتحرك في سلوكه الاجتماعي من موقع العداء للمجتمع والقانون والقيم الأخلاقية ، وبالتالي لا يجد شيئاً يمنعه من ارتكاب الجرائم المختلفة حسب شدة الحالة النفسية عنده .

حقيقة هذا المرض تكمن في ان الشخص المصاب به لا يفرق بين الإصلاح والإفساد ، فهو من شدة إنكاره للفساد الاجتماعي ، يسير في طريق اشد إفسادا ،

وفي ظنه انه بهذا يساعد على الإصلاح استنادا إلى قاعدة : (إفساد الفساد إصلاح) ، ونحن نستطيع ان نشبه هذا الشخص بمن يسير إلى المغرب ونيته الوصول إلى المشرق ، فهو في حركته لا يزداد إلا بعدا عن المشرق ، وكلما ابتعد أكثر حثّ خطاه في السير فلا يزداد إلا بعدا وهكذا ..

مثل هذا الشخص لا يدرك ان الأمر ملتبس عليه ، وان ما يبنى على باطل فهو باطل ، وشأن الطب النفسي في التعامل مع هذا المرض لا يختلف كثيرا عن شأنه مع بقية الأمراض النفسية والتي لا تتجاوز محاولة إعادة تأهيل المريض ليندمج مع المجتمع وذلك بالتركيز على الجوانب المشرقة أو الصالحة ، وغض الطرف عما سواها .

أما في الطب الصوفي فأن العلاج لا يعتمد القفز على الحقائق أو تجاوزها ، بل بالعكس التعمق فيها والأخذ بأسبابها ، فالحياة فيها الخير وفيها الشر ، وطريقة الإصلاح الاجتماعي حق مشروع للجميع ويمكن لأي فرد ان يستفيد من كل قدراته ومقدراته في تحقيقها ، إذا ما عرف كيف يقوم بذلك أو لا.

ولمعرفة ذلك تقدم الطريقة منهجا متكاملا في الكيفية التي يكون فيها الإنسان صالحا في نفسه مصلحا لغيره ، والصلاح يقتضي الصدق في الأقوال والإخلاص في الأعمال ومحبة الخير للغير ..

هذه هي المناهج التي جاء الأنبياء بها إلى أقوامهم فأصلحوا فيها فسادهم ، وقوَّموا بها جور قوانينهم ، وهي طرق الأولياء المرشدين من بعدهم .

ومعنى ذلك ان الطريقة تتبنى من يريد ان يصلح المجتمع ، وتسهل له الطريق ليفرغ الشحنات المكبوته في داخله من خلال التوجيه الصحيح على

الأعمال الصالحة ، والتي اذا ما ذاعت وانتشرت في مجتمع فان القدرة الإلهية تتدخل لتغير الأسوء بالأحسن مصداقا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [1] .

خامساً : المس الشيطاني

وهناك أمراض ذات منشأ (ميتافيزيقي) أي لها علاقة بالعوالم الغيبية الأخرى كما في حالة (المس الشيطاني) هو تأثير نوع من الجن على عقل الإنسان أو حواسه أو أعضاءه بكيفيات مختلفة ، تأخذ أحياناً صورة شلل في بعض الأعضاء، أو اعوجاج في بعضها الآخر ، وقد يكون المس كلياً فيتخبط الشخص ويغيب عن وعيه ، وقد يكون المس جزئياً يتأثر فيه عضو من الأعضاء كاليد والرجل واللسان [2] .

ورغم ان وجود هذا النوع من الأمراض يدخل في الممكنات العقلية ، وليس في العقل ما يدعو إلى جحده وإنكاره ، فقد وجد في كل عصر المصدق بهذا المرض والمكذب له ، مثل سائر الأمور التي لها علاقة بالغيب.

وقد قربت بعض الاكتشافات العلمية في عالم الفيزياء إمكانية تأثير عوالم أخرى في عالمنا دون أن نراها ، فلقد سمحت نظرية (الاهتزاز)[3] للعلماء ان يفترضوا أكواناً متداخلة مع بعضها أي يخترق بعضها البعض الآخر دون ان يشعر احدها بوجود الآخر نظراً لتغاير التردد ، واستنادا إلى هذه النظرية « قرر

---

1 – الرعد : 11

2 – محمد عز الدين توفيق – التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية – ص 415 .

3 – وهي النظرية التي غيرت النظرة إلى المادة وبينت ان تنوع الموجودات يعود إلى الاختلاف في درجة والاهتزاز أو الذبذبة .

العالم الكبير جيفونس (Jevons) في مؤلفه (مبادئ العلم) ، أنه قد يوجد هنا الآن كوكب غير منظور منا يخترق بمحيطاته وبحاره وأنهاره وجباله ومدنه وسكانه عالمنا هذا بما فيه من أجسام وكائنات تتجاوز في اهتزازها ، اهتزاز ما تقدر حواسنا على إدراكه »[1] .

هذا بالطبع مع افتراض مسبق بأن هذا العالم الذي يخترق عالمنا يخضع لنفس القوانين الفيزيائية سوى ان درجة الاهتزاز في ذراته مما لا تدركه حواسنا ، فتتدخل كائنات روحية غير منظورة بتعطيل عمل عضو من الأعضاء والتأثير في المراكز العصبية المتحكمة فيه عن طريق المس ، وهو أمر ممكن ليس في العقل ما يحيله .

وفي القرآن الكريم يقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ .. ﴾ [2] ، والمس الشيطاني على مستويات منها :

الوسوسة : وهي الخواطر التي يلقيها الشيطان في الصدر ، فتطوف فيه تنتظر الدخول إلى الحياة الشعورية لتصبح جزءاً من أفكار الشخص وإرادته ، وهي فتنة الشيطان للإنسان ، وقد سماها القرآن الكريم مسّاً ، أي إنها درجة أولى من درجات المس الشيطاني ، لكن الإنسان يحتفظ معها باستقلاله فيستجيب لها أو يردها ، وهذا ما دلت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [3] .

---

1 – محمد عبد الهادي حيدر – عالم الأرواح – ص 31 .

2 – البقرة : 275 .

3 – الأعراف : 201 .

ومنها ، المرض : وهو مرض كسائر الأمراض الجسدية ، تأخذ أعراضه صورا شتى أبرزها الصرع والخنق والتخبط ، دون سبب عضوي ظاهر لذلك ، وإذا كان الإنسان مسؤولا عن استجابته لوسوسة الشيطان ، فأنه غير مسؤول عما يصيبه في هذه الحالة المرضية ، بمعنى انه لا يستطيع ان يرد أعراض التخبط والصرع ..

ولم يتوفر لهذه الحالة المرضية من علاج نفسي ، بل ان المريض في أوربا ينصح في الغالب بالذهاب إلى راهب في دير أو كنيسة ، وحتى في المجتمعات الإسلامية لا زال الناس يلجئون في مثل هذه الحالات إلى غير الأخصائي أو الطبيب النفسي [1] ، ويرجع ذلك في تقديرنا إلى ان عجز الطب النفسي عن تبني العلاج لمثل هذه الحالات والا لكانت نظرياته قد اشتهرت ، وأنباء شفاء هذه الحالات علي أيدي النفسانيين قد ذاعت .

في الطب الصوفي يوجد تصور كامل عن مثل هذه الحالات من حيث الأسباب والأعراض وسبل الوقاية والعلاج ، ولما كان التطرق لكل هذا مما يطول بذكره المقام ، فقد رأينا ان نقتصر في الإشارة إلى سبيل العلاج ، وكما سيتبين في فقرة تالية من هذه الدراسة .

سادساً : مرض الجزمية الدوغماتية (الإرهاب)

هو مرض التمسك بسطحية العقيدة الدينية والتشدد بالاعتقاد فيها ، وهو ينتهي بذلك بدفع الفرد المتدين إلى ان ينظر إلى جميع أفراد البشر الذين يخالفونه بالفكر والعقيدة من موقع الاتهام والتكفير ويتعامل مع الآخرين بلغة (أنا فقط) .

وقد اصطلح المفكر الفرنسي (ريمون روية) على هذه الحالة بـ (فيروس

1 - محمد عز الدين توفيق – التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية – ص 425 .

العقيدة) ويشبهها بالفيروس المولد للسرطان في التوالد الذاتي للفكرة حتى في الوسط المعادي لها حيث تستخدم (الفكرة ـ الفيروس) العداوة والاتهام برهاناً على صحتها فتنعت كل شخص غير مؤمن بها بالرجعية والنفاق والارتداد والانحراف والعقد النفسية وأمثال ذلك مما نراه في سلوكيات الأيدلوجيين من شتى المذاهب المختلفة [1] .

وربما يتعدى الاتهام والتسقيط والعداء عند هؤلاء إلى استخدام القوة وارتكاب جريمة قتل المخالفين في العقيدة ، كما كان يحدث في العصور الوسطى للمخالفين لأفكار الكنيسة ورجال الدين ويحدث اليوم في أوساط المسلمين عند الجماعات الاسلاموية المتطرفة والتي اصطلح على تسميتهم عالمياً بـ (الإرهابيين) .

وهذا المرض ينتج من أتباع أفكار وتقاليد دينية موروثة من الآباء والأجداد والمحيط الاجتماعي وقد اكسبها مرور الزمن طابع القداسة بحيث جعلها تتعالى عن النقد والتمحيص ، ومثل هذا التوجه يحدد عقل الإنسان ويورثه هذا المرض (الجزمية) والعداء للفكر المخالف . واذا لم يصب الفرد بمثل هذه الأمراض الفكرية والنفسية من جراء التزامه الديني هذا ، فلا اقل من أن مثل هذا الدين لا يحفظه من الإصابة بالمرض النفسي ، ولا يساعده في موارد العلاج والشفاء من المرض ، ولهذا السبب تجد أكثر المصابين بالأمراض النفسية في إتباع الأديان ، أي بسبب التزامهم بالفكر الديني على أساس انه الدين ، فمثلاً الوسواسي الذي يصرف ساعة أو ساعتين للوضوء أو الغسل ، أو من يعادي الآخرين لمجرد الاختلاف في العقيدة والفكر ، أو من ينظر إلى نفسه على انه من أهل

---

1 - ريمون روّية – الممارسات الأيدلوجية – ص 130 .

النجاة يوم القيامة دون سائر أفراد البشر لمجرد اعتقاده بعقيدة معينة وغيرهم .. من هذا القبيل .

والجدير بالذكر هنا ان مرض الدوغماتية (الإرهاب) لا ينحصر في أتباع الأديان السماوية ، بل يطال أتباع جميع المذاهب والعقائد الأرضية أو السماوية ، وهذا يعني وجود أرضية في نفس صاحب المعتقد والدين ، وهي عبارة عن ضيق الأفق وحب الذات وضعف السلوك العقلاني وأمثال ذلك لدى المريض الجزمي أو الإرهابي .

العلاج النفسي في الطريقة الكسنـزانية

العلاج النفسي الذي تقدمه الطريقة الكسنـزانية للأمراض الخمسة الأولى يقوم على أساس المنهج الروحي الذي تنتهجه الطريقة ، حيث تقوم بإعطاء المرضى النفسيين مهما كانت حالتهم أذكار وتسابيح مخصوصة بإعداد محددة ليقوموا بتأديتها أو من ينوب عنهم من المقربين منهم اذا كانت حالة المريض لا تسمح ، وهذا بالطبع بعد ان يرتبط روحياً بشيخ الطريقة عن طريق المبايعة .

والسر في هذا العلاج الكسنزاني يعود من الناحية الروحية إلى ان هذه الأذكار بتلك الأعداد تحتوي على قوة روحية خاصة ، قادرة على أحداث التوازن المطلوب في النفس المريضة لتعود إلى حالتها الطبيعية، وتشعر بالاستقرار والطمأنينة ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [1] .

وقد يتوجب العلاج ان يحُضَر المريض إلى حلقات الذكر التي تقام في تكايا الطريقة أو ان يبقى المريض لعدة أيام في التكية ، فهذا يساعد كثيراً على سرعة الشفاء الخارق .

ان العنصر الخارق هنا قريب من تلك الحالات الموجودة في علاج الطريقة للأمراض الجسدية ، ويمكن ان يقال انها متطابقة معها، اذ القوة الروحية القادرة على إحداث الشفاء الجسدي هي بالأحرى نفسها قادرة على أحداث الشفاء النفسي ، وبالطبع فأن باب شيخ الطريقة الحاضر مفتوح لجميع أنواع الاختبارات في هذا المجال كغيره من المجالات السابقة .

---

1 – الرعد : 28 .

أما بالنسبة إلى الحالة السادسة ، أي حالة (فيروس العقيدة أو الجزمية) ، فالطريقة كغيرها لا تستطيع ان تعالج من لا يريد العلاج ، ولكنها إزاء هذا الخطر الاجتماعي تعرض منهجها الصوفي ليكون وقاية من الوقوع في كل أنواع الجزمية والبرغماتية.

إن الطريقة تتجاوز بمنهجها الصوفي الأرضية الحاضنة لهذه الأمراض ، اذ ان منشأ هذه الأمراض هو التمسك بقشور الدين أو ظاهره واعتبارها الحق المطلق الذي لا محيص عنه ، بينما تقوم العقيدة الصوفية على اعتبار قشر الدين أو ظاهره عبارة عن باب ينبغي الولوج من خلاله إلى جوهر الدين وروحه ، وذلك عن طريق ما يعرف بالتجربة الصوفية ، وهي عندهم عبارة عن تجربة قلبية للفرد المؤمن في عملية اتصاله بالروح الأعظم وصيرورته مورداً للخطاب الإلهي مباشرة والارتباط مع الله برابطة العشق والحب والاعتماد والتوكل والخروج عن إطار (الأنا) والذوبان في الحقيقة الغيبية المطلقة (الله) .

ويمكن القول ان هذا المنهج بما هو تجربة قلبية وعاطفة تمتد إلى وجدان الفرد فتثير فيه مشاعر الخير والصلاح ، وهو الطريق الوحيد للسلامة والصحة النفسية من الدوغامتية أو الوصول إلى حالة الاستلذاذ بالإرهاب [1] .

فإذا سرنا مع الصوفية في اعتبار روح الدين هو التجربة القلبية للارتباط بالمطلق ، فأن ديناً كبيراً كالإسلام مثلاً لا ينتفع المسلم به فيما لو لم يتحرك روح ذلك الدين في سلوك المسلم العملي ومشاعره الباطنة .

---

1 – احمد القبانجي – الإسلام والصحة النفسية – ص 31 .

فلو رأينا مظاهر المحبة والعشق والإنسانية على سلوك الفرد فهذا يعني ان طريقته سليمة وإلهية وحق ، وإلا فلا ، أي يمكننا الاستدلال على حقانية الطريقة من فاعليتها وتأثيرها الايجابي على سلوك الأفراد .

المبحث الثالث

الكسنـزان
وعلاج الأمراض القلبية

القلب في عند أهل الطريقة له معنيان :

الأول : هو اللحم الصنوبري الشكل ، المودع في الجانب الأيسر من الصدر ، وهذا القلب يكون للبهائم أيضاً، بل وللميت كذلك .

وثانيهما : لطيفة ربانية روحانية ، لها تعلق بالقلب الجسماني كتعلق الأعراض بالأجسام ، والأوصاف بالموصوفات ، وهو حقيقة الإنسان [1] .

وهذا المعنى هو المراد كلما ذكر لفظ (القلب) في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، والى هذا المعنى أشار تعالى بقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ [2] . فلو كان المراد بلفظ القلب في الآية الكريمة هو العضو اللحمي لدل ذلك على ان البعض يمكنهم العيش بدون هذا العضو وهو أمر محال ، ولهذا فالمقصود بالقلب في الآية الكريمة هو الجانب غير المادي في هذه المضغة .

والقلب في المفهوم الصوفي لا يقل أهمية عن القلب بالمعنى البايولوجي ، فكما ان صحة القلب وسلامته من الناحية البايلوجية مهمة جداً ، وربما تكون الأهم من بين جميع الأعضاء في الجسم البشري ، فإن أهمية طهارة القلب ونقائه و سلامته من الناحية الروحية (غير المادية) لا تقل في الأهمية عنها ، وذلك لأنه وكما كان حضرة الرسول الأعظم ﷺ يعلم الصحابة الكرام ان القلب هو محل نظر الله إلى عباده ، فقد كان ﷺ

---

1 – د. عبد المنعم الحفني – الموسوعة الصوفية – ص 915 .

2 – سورة ق : 37 .

يقول : ﴿ إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ﴾ [1] .

وهذا المحل أو الموضع غير المادي يشبه المضغة المادية في كونه معرض للعديد من الأمراض ـ غير البايلوجية طبعاً ـ كمرض الكبر أو الحسد أو العجب أو النفاق أو غيرها ، يقول تعالى مخبراً عن حال المنافقين : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[2].

وهذه الأمراض التي قد تعتري القلوب يتوسع أثرها السيئ إلى جميع أنحاء الجسم الإنساني ـ المادي و غير المادي بحسب تعبير الطب التفاعلي ـ يقول ﷺ : ﴿ أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ ﴾ [3] .

بمعنى ان المرض القلبي يؤثر على حياة الفرد كلها من حيث أقواله وأفعاله وأحواله ، وهذا بالطبع ينعكس على محيطه الذي يعيش فيه بالسلب ، ولهذا اعتنى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أيما اعتناء بصلاح القلوب ومحاولة شفائها وعلاجها من أمراضها الخفيه ، فقال سبحانه مادحا القلوب الصافية : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [4] . وواضح من نص الآية الكريمة تفضيل الحق سبحانه لسلامة القلوب من الأمراض على كل شيء في الحياة ولو كانوا فلذات الأكباد . وما ذلك إلا لينبه على أثر القلب بالنسبة للفرد بشكل خاص والمجتمع الذي يعيش فيه بشكل عام .

وهنا وحول هذه النوع من العلاج لسنا بحاجة إلى ذكر مدى تخلف الطب

---

1 - أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة عن ابي هريرة رضي الله عنه - ج4 - ص 1986 برقم 2564.

2 - البقرة : 10 .

3 - صحيح البخاري - ج 1 ص 28 - برقم 52 .

4 - الشعراء : 88 - 89 .

التقليدي في هذا المجال ، ولا نقول انه ينكر هذا النوع من (الأمراض القلبية) بل هو لا يعرفها أصلاً ، فهذا العلم فيه خلط كبير بينه وبين (الأمراض النفسية) ، فإذا كان الطب التفاعلي الذي يقول بتأثير بعض النواحي السيكولوجية على صحة الإنسان لم يعترف به رسمياً إلا قبل عقود قليلة ، فكيف يكون الحال مع أمراض لم يتطرق لها الطب التقليدي أصلاً ؟!

على كل حال ، ان أمراضا مثل النفاق أو الحسد أو الشغف بحب الدنيا أو غيرها من الأمراض التي لها ما لها من آثار سلبية في المجتمعات الإنسانية .

وقد توسعت كتب الصوفية في عرض هذه الأمراض من حيث المعنى والدرجات والأقسام وطرق العلاج وما إلى ذلك مما يمكن مراجعته في محله ، وما يهمنا هنا هو الأسلوب الروحي الذي تتبعه الطريقة الكسنزانية في شفاء هكذا أمراض .

ويبدو انه لا يختلف في شيء عن الأساليب التي اتبعتها الطريقة مع بقية الأمراض السابقة ، فالمساعدة الروحية من قبل مشايخ الطريقة هي الوسيلة الشفائية لجميع الأمراض وفي جميع الحالات ، إلا ان الفرق بينها جميعاً مسألة الوقت ، وهنا وبخصوص هذا النوع من الأمراض يشترط الإرادة ، أي ينبغي على المريد او من يريد هذا الشفاء ان يسعى في تطبيق أوامر شيخ الطريقة بحذافيرها ، كما يشترط عليه ان يكون ذو رابطة قلبية قوية مع الشيخ ، ومعنى هذه الرابطة هو الإخلاص في محبة الشيخ فوق كل شيء اقتداءً بقوله ﷺ : ﴿ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [1] ،

---

1 – أخرجه البخاري عَنْ أَنسٍ ، كتاب الايمان ، رقم (993 ، 1249) .

والشيخ في تعاليم الطريق بين مريديه كالنبي بين أصحابه ، فهذه الشروط ضرورية جداً في مسألة شفاء الأمراض القلبية ، لأنها من صميم السلوك في الطريقة ، وهو طريق يصفه الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) بأنه « سهل لأهله وصعب على غير أهله » .

الشيخ الحاضر وأثره المباشر في الشفاء الصوفي

هناك عامل مهم جداً في علاج الأمراض القلبية والنفسية وهو ما يسمى بعامل (القدوة الصالحة) حيث تتميز الطريقة بخاصية إعطاء المرضى والمريدين بل وحتى عوام الناس فرصة الإقتداء بالشخصية المثالية والتي يصطلحون على تسميتها في الطريقة الكسنـزانية بـ (الإنسان الكامل).

ان فائدة القدوة الصالحة في الصحة النفسية والقلبية تتمثل في قولهم للإنسان : اذا أردت ان تتمتع بصحة نفسية وقلبية فعليك أن تسعى لتكون مثل الأنبياء والأولياء ، وهم في ذلك لا يكتفون في مقام التربية والمعالجة بالتنظير وإعطاء الأطروحات وإصدارات التعليمات أو النصائح والإرشادات من دون ان يشفعوه بمصداق جلّي للشخصية الكاملة السليمة متمثلة بشخص شيخ الطريقة .

ان أدبيات الطريقة الكسنـزانية في مجال القدوة الصالحة تتمتع بـ :

1. وجوب ان يكون للطريقة شيخ حي حاضر وارث للقوة الروحية الكاملة ممن سبقه ، ولا ينتقل إلى العالم الآخر الا بعد ان يورِّث تلك القوة إلى الشيخ الذي يليه .

وبالتأكيد أن من يمتلك تلك القوة الروحية التي تسمى (مشيخة الطريقة) وهي القادرة على فعل الأعاجيب في الغير ، لا بد ان يكون حاملها (وارثها) هو الأولى في الاستفادة منها من حيث الكمال ، ويصح ان نصفه قائلين : أنه كامل بها مكمل لغيره بها أيضا .

وقد جاء في كتاب الطريقة العلية القادرية الكسنزانية عن هذه المسالة ما فحواه : إن شيخ الطريقة هو المأذون من الله تعالى ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾ [1] .

وهو الولي المرشد ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [2] .

وهو من أهل الصنع الإلهي الخصوصي ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [3]

وهو خليفة الله في الأرض ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [4] .

وهو الجامع للأسرار الروحية ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [5]

فمشيخة الطريقة أمر يختص به الله من يشاء من عباده الصالحين ليكون حاملاً أمانة الوراثة الروحية للأنبياء والأولياء والصالحين حتى يورثها لمن يليه قبل انتقاله إلى العالم الآخر[6].

2. صورة ذلك الكمال النفسي والقلبي والروحي يتم التعبير عنها في الطريقة بمصطلح (الفناء) ، فالشيخ وبواسطة هذه القوة الروحية (فانٍ) في الشيخ الذي قبله ، والشيخ الذي قبله فان كذلك فيمن هو قبله ومن شيخ إلى شيخ حتى يصل الفناء إلى حضرة الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ ، وهو بدوره ﷺ فان في الله تعالى . أي ان الشيخ الحاضر فان في حضرة الرسول ﷺ ومن خلاله هو فانٍ في الله تعالى .

---

1 – الأحزاب : 46 .

2 – الكهف : 17 .

3 – طه : 41 .

4 – البقرة : 30 .

5 – يس : 12 .

6 – الشيخ محمد الكسنزان – كتاب الطريقة العلية القادرية الكسنزانية – ص 85 .

يقول السيد الشيخ محمد الكسنـزان (قدس الله سره) : « ان شيخ الطريقة الحاضر متصل بالتتابع لسيدنا المصطفى ﷺ بسلسلة مشايخ الطريقة الروحية قدس الله أسرارهم »[1] .

ومعنى هذا الفناء هو ذوبان الصفات المعنوية لشيخ الطريقة في صفات حضرة الرسول الأعظم ﷺ الذي وصفه الحق تعالى بأنه على خلق عظيم ، وبأنه رحمة للعالمين ، وبأنه نور مبين ، بالصفات الكمالية التي لا يعدها الحصر كما يقال .

وعلى هذا فالشيخ الحاضر أمام المريد أو المريض أو الطالب هو عبارة عن صورة أخرى للحقيقة النورانية المحمدية متمثلة في شخص شيخ ذلك الزمان وبالتالي فهو يمثل القدوة الصالحة والأسوة الحسنة التي ينبغي عليه إتباعها والإقتداء بها .

يقول السيد الشيخ محمد الكسنـزان (قدس الله سره) : « إن ثمرة اتباع المريد الكامل ظاهراً وباطناً لشيخ الطريقة هو الفناء بشيخه وهو تلذذ المريد بقبس الأنوار الروحية التي تغزو قلبه من شيخه ، وإن هذا الفناء يتحول إلى قنطرة الفناء التالية وهي الفناء في الرسول الأعظم ﷺ ومنه يتحول إلى قنطرة الفناء التالية وهي الفناء في الله تعالى »[2] .

تعتبر هذه الميزة في الطريقة فارق أساسي بينها وبين بقية الأديان والمذاهب الأخرى التي تفتقد إلى المعيار العملي المهم في مجال الصحة النفسية والسلامة القلبية ، فالمذاهب الدينية ومدارس علم النفس كلها تفتقد إلى المعيار المتجسد لتلك

---

1 – الشيخ محمد الكسنـــزان – كتاب الطريقة العلية القادرية الكسنـــزانية – ص 85 .

2 – المصدر نفسه – ص 86 .

السلامة النفسية على ارض الواقع الخارجي ، هذا فضلاً عن انها متضاربة فيما بينها في تحديد المعيار النظري أيضاً ، فلا تكاد تجد مدرستين من هذه المدارس تتفق على الأصول والمبادئ الأساسية للشخصية السليمة .

إن وجود القدوة الصالحة يعتبر أهم مبادئ العلاج النفسي والقلبي لأنه يكون بمثابة الميزان التجريبي على مستوى التطبيق والممارسة ، فيتعرف المريد على سلامة نفسه وصحة سلوكياته في حركة الواقع الاجتماعي من خلال تطبيق هذه السلوكيات على سيرة الأنبياء والأولياء الذين جعلهم القرآن الكريم قدوة حسنة وأسوة للبشرية على اختلاف أفرادهم في المقام والثروة والعرق والجنس .. تلك السيرة الصالحة التي هي أحوج ما يكون المريض لها ، يجدها ماثلة بكل معانيها السامية في صورة شيخ الطريقة الحاضر لكونه وارثاً روحياً لكل تفاصيلها الظاهرية والباطنية .

الخلاصة والنتائج

يمكن تلخيص النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة في ثلاث حقائق :

الأولى : ان الهالة المادية التي كانت تصبغ جميع العلوم بدأت تضعف وتنحسر ، ليس لأن العلوم المادية غير صحيحة بل لأنها ليست شاملة ، أي لا تستطيع الإحاطة بكل جوانب العلوم في الوجود .

الثانية : في المجال الطبي ، وفي عصر التقدم العلمي والانفتاح العالمي ، يمكن ان يستفيد العلم الحديث من ظاهرة روحية مهمة وهي الشفاء الروحي الخارق الذي تؤكد الطريقة العلية القادرية الكسنزانية امتلاكها لمفاتيحه العلمية والروحية بصورة كاملة ، ويمكن إجراء التجارب والاختبارات العلمية التي تثبت مصداقيته وفائدته العملية للإنسانية اجمع .

الثالثة : الطب الروحي الخارق الذي تقول به الطريقة الكسنـزانية لا ينفي الطب التقليدي بل بالعكس يؤكده ، ولكنها وفي الوقت نفسه تدعو إلى تكامل شقي الطب لتكوين نموذج جديد شامل يراعى فيه ان العالم مكون من جانبين : مادي يجب ان يراعى وآخر روحي يجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار .

وعلى الجملة فالشفاء الخارق في التصوف الإسلامي ، وتجسده بالشكل الذي تعرضه الطريقة العلية القادرية الكسنـزانية لهو تحد من أكبر التحديات أمام العلم الحديث ، والذي عاجلاً أو آجلاً سيضطر لمواجهته ، ليس بالرفض بل بالفحص والتمحيص العلمي ووقتها ستجد مناهج البحث العلمي ان عليها إعادة النظر في كثير من القضايا الرئيسية التي أسدلت عليها الستار ومنها قضية العلاقة بين العلم والدين ومدى استفادة العلم من التفسيرات الصوفية للقدرات الخارقة

التي بحوزتها .

إن العلوم الطبية بشكل عام شقت طريقها دون التفات للمفاهيم الصحيحة التي قدمها الاعتقاد الصوفي ، سواء الشرقي أو الغربي ، ولم يحاول العلماء اختبار بعض ما جاء به الدين حول الطبيعة الإنسانية وغيرها ، ولكن ، بعد التطور العلمي والتقني الذي شهده العصر أمكن إنجاز مثل هذا العمل بالفعل ، وأمكن الآن القول بأن المنهج الصوفي والمنهج العلمي يمكن ممارستهما معا في وقت واحد ، إذ ان أحدهما يمكن ان يدرس من خلال الآخر ، وأن الأبعاد الروحية ووحدة الوعي يمكن استكشافها بأدوات العلم ، على الأقل في المراحل الأولية لهذا الاستكشاف .

ولعل ذلك اذا حدث ، أي اذا حصل التقارب العلمي بين العلم والتصوف الإسلامي فانه يفتح باب التقارب بين الحضارة الإسلامية التي تؤمن بالقضايا الروحية وبين الحضارات القائمة على الفكر المادي.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد
الوصف والوحي والرسالة والحكمة
وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

ترجمة حضرة
السيد الشيخ محمد الكسنزان الحسيني (قدس الله سره)
رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم

بِسمِ ٱللهِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلرَّحيمِ

ٱلحمد لله وٱلصلاة وٱلسلام ٱلأتمان ٱلأكملان على حبيبه ومصطفاه ٱلوصف وٱلوحي وٱلرسالةِ وٱلحكمة وعلى وآله وصحبه ومَن والاه .

أما بعد :- فأن ٱلسيد ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان ٱلحسيني (قدس الله سره) هو شيخ ٱلطريقة ٱلعلية ٱلقادرية ٱلكسنزانية في ٱلعالم .

وهو علم من أعلام ٱلعراق وٱلعالم ٱلإسلامي ، ونجم من نجوم سماء أهل ٱلفكر وٱلعرفان لا لكونهِ شيخ طريقة صوفية فحسب بل لما يمتلكه من مؤهلات ذاتية هيأتهُ لأَن يكون ذا صدارة في ٱلمجالات ٱلدينية وٱلسياسية وٱلأجتماعية وٱلعلمية وٱلسيد ٱلشيخ ينحدر من أُسرة حسينية هاشمية هي فرع من فروع ٱلشجرة ٱلمحمدية ٱلمصطفوية ٱلطاهرة ٱلتي أصلها ثابت وفرعها في ٱلسماء .

فهو ٱلسيد ٱلشيخ محمد إبن ٱلسيد عبد ٱلكريم إبن ٱلسيد عبد ٱلقادر إبن ٱلسيد عبد ٱلكريم شاه ٱلكسنزان إبن ٱلسيد حسين إبن حسن إبن ٱلسيد عبد ٱلكريم إبن ٱلسيد إسماعيل الولياني ٱبن ٱلسيد محمد ٱلنودهي إبن ٱلسيد بابا علي ٱلوندرينة ٱبن ٱلسيد بابا رسول ٱلكبير ٱبن ٱلسيد عبد ٱلسيد الثاني إبن ٱلسيد عبد ٱلرسول إبن ٱلسيد قلندر إبن ٱلسيد عبد ٱلسيد إبن ٱلسيد عيسى ٱلأحدب إبن ٱلسيد حسين إبن ٱلسيد بايزيد إبن ٱلسيد عبد ٱلكريم ٱلأول إبن ٱلسيد عيسى ٱلبرزنجي إبن ٱلسيد بابا علي ٱلهمداني إبن ٱلسيد يوسف الهمداني إبن ٱلسيد محمد ٱلمنصور إبن ٱلسيد عبد العزيز إبن ٱلسيد عبد الله إبن ٱلسيد إسماعيل ٱلمحدث إبن الإمام موسى ٱلكاظم إبن ٱلإمام جعفر الصادق إبن ٱلإمام محمد ٱلباقر إبن ٱلإمام علي زين ٱلعابدين إبن ٱلإمام الحسين إبن ٱلإمام علي إبن أبي طالب (كرم الله وجهه) وٱلسيدة فاطمة ٱلزهراء سيدة نساء العالمين (عليها السلام) بنتِ رسول ٱلله وخاتم ٱلأنبياء وٱلمرسلين سيدنا محمد ٱلمصطفى ﷺ .

وأما لقب ٱلكسنـــزان الذي أُطلق على عائلة ٱلسيد ٱلشيخ (قدس الله سره) فهـــو لقب أُطلق على جدّهم ٱلولي ٱلصالح وٱلعابد ٱلزاهد ٱلسيد عبد ٱلكـــريم ٱلأول وكلمـــة (كسنـــزان) كلمة كردية تعني ٱلشخص ٱلذي لا يعلم حقيقته أحد وسبب إطلاق هذا ٱللقب على هذا ٱلسيد ٱلمبارك هو ٱنقطاعه لمدة أربع سنوات عن ٱلناس مختـــلياً في أحـــد جـــبال (قرداغ) [1] ، مع ربه متلذذاً بقربه مستأنساً بعبادتِهِ وحينما كان يُسألُ أحدُ ٱلناس عن ٱلشيخ ، يقول : (كسنـــزان) ، فجرى هذا ٱللَّفظ لقباً على هذا ٱلـــسيد ٱلمبجل ومن ثم على أبنائه وأحفاده كما أَنَّ هذا ٱللقب جرى على أَلسنة ٱلخلق عَلَمـــاً للطريقة ٱلعلية ٱلقادرية ٱلكسنـــزانية ٱلتي تبنّى مشيختها ٱلشيخ وأبنـــاؤه وأحفـــاده من بعده .

فاسم ٱلكسنـــزان هو لقب عائلة وٱسم طريقة وله معناه ٱلاصطلاحي .

وأَما ٱسم العشيرة ٱلتي تنتمي إليها عائلة ٱلشيخ محمد فهـــي عـــشيرة ٱلـــسادة البرزنجية وٱلأب ٱلأعلى لهذه ٱلعشيرة ٱلشيخ عيسى البرزنجي هو أول مـــن ســـكن في برزنجة من شمال ٱلعراق وبارك ٱلله في ذريته عدداً ومكانة ووجاهة دنيوية وأُخرويـــة فالسادة ٱلبرزنجية ٱليوم هم أكبر عشائر ٱلسادة ٱلكرام في شمال ٱلعراق .

ولادته ونشأته :

ولد ٱلسيد ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان ٱلحسيني (قدس الله سره) في (قرية كربجنة) ٱلتابعة لناحية (سنكاو) من محافظة كركوك في شمال ٱلعراق فجر ٱلجمعة ٱلرابع عـــشر من شهر صفر (سنة 1358) للهجرة ٱلنبوية ٱلشريفة ٱلموافق للخامس عشر مـــن

---

1 – قرداغ : وتعني الجبل الأسود ، وهي منطقة تقع في ضواحي مدينة السليمانية.

شهر نيسان (1938 م) للميلاد وهذه ٱلقرية ٱلتي ولد فيها الشيخ هي موطن مشايخ ٱلطريقة ٱلكسنــزانية ، ومنذُ سنواته الأولى التي قضاها في (كربجنة) كــان شــيخ ٱلطريقة هو والده ٱلسيد ٱلشيخ عبد ٱلكريم ٱلكسنــزان (قدس الله سره) ٱلذي أُنيطت به ٱلمشيخة من قِبَلِ أَخيه الأكبر ٱلشيخ ٱلزاهد صاحب ٱلخلوات ٱلسيد ٱلشيخ حسين ٱلكسنــزان وٱلذي كان يُطلق عليه ولا زال لقب (ٱلسلطان) وٱلسلطان حسين هو الذي سمّى ٱلمولود ٱلجديد للشيخ عبد ٱلكريم محمداً وقال فيه مبشراً أَنه ســيكون ولي زمانه وسيكون في ٱلطريقة ذا سلطان وجاه روحي واسع .

نشأ ٱلشيخ في هذه ٱلأجواء ٱلروحانية وفي هذا ٱلصفاء وبين أكْناف أولياء كبار لا تراهم إلّا ركعّاً أو سجّداً أو مسبحين أو مفكرين ومتدبرين مع ما كان لهــم مــن مواقف وطنية مؤثرة في كل ٱلمجالات فالسلطان حسين كان من قادة ٱلجيــوش ٱلــتي تألفت من شيوخ ٱلعشائر وٱلوجهاء بقيادة ٱلسيد ٱلكريم وٱلمجاهد ٱلذي ذاع صيته في ٱلآفاق (ٱلشيخ محمود ٱلحفيد) الذي قاوم ٱلإنجليز إِبان ٱحتلال ٱلعراق فقــد قــاد ٱلسلطان حسين (قدس الله سره) معركة كربجنة ضد ٱلإنجليز وٱلتي انبثقت عنها فيما بعد معركة (دربند بازيان) [1] ٱلتي هزم فيها ٱلإنجليز وأُسر فيها قائد ٱلجيش هنــاك (ٱلكابتن مار) ، وقد أَبلى ٱلسلطان حسين (قدس الله سره) في هذه ٱلمعــارك بــلاء ٱلأَبطال ٱلذين يشار اليهم بالبنان في ٱلتاريخ و لم يكن ذلك وليد حينه فأن ٱلــسلطان حسين هو ٱلنجل ٱلأكبر للشيخ عبد ٱلقادر ٱلكسنــزان (قدس الله سره) ٱلعابد ٱلزاهد وٱلبطل ٱلمجاهد ٱلذي قاد ٱلمعارك ضد ٱلروس على ٱلحدود ٱلإيرانية في منطقــة بانــا وشارك أَيضا في (معركة ميدان) [2] مع رؤساء ٱلعشائر ٱلكردية وٱلسادة ٱلبرزنجية .

---

1 – دربند بازيان : وهي منطقة جبلية ذات غابات كثيفة وتقع بين محافظة السليمانة ومحافظة كركوك .

2 – معركة ميدان : نسبة إلى منطقة (ميدان) التي تقع شمال شرق العراق قرب الحدود العراقية الإيرانية .

أما والد ٱلشيخ فهو ٱلشيخ عبد ٱلكريم (قدس الله سره) الذي تولّى مشيخة ٱلطريقة فكان من كبار ٱلشخصيات ٱلدينية وٱلأجتماعية وعلى يديه كَثُرَ عدد ٱلمريدين وتوَّسعت ٱلآفاق في ٱلأَرشاد وٱلتربية وٱلسلوك .

في هذه ٱلأجواء ٱلمفعمة بالروحانيات وٱلأخلاقيات وٱلمثاليات نشأ شيخنا وشرب من هذا ٱلنبع ٱلطاهر مشرباً طيباً هنيئاً مريئاً إذ تربّى على ٱلفضيلة بكلّ ما تحويه هذِهِ ٱلكلمة من معنى .

دراسته :

أَخذ ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان (قدس الله سره) ٱلطريقة عن والده وأَخذ معها علوم ٱلتصوف بموسوعية كبيرة وكان ذا ملكة فكرية وروحية تمتاز بسعة ٱلأفق وقد تهذّبت وتكاملت هذه ٱلملكة في دراسته وتعلّمه إذ أَخذ ٱلعلوم ٱلشرعية وٱلعربية على يد كبار علماء عصره وفقهاء مصره في مدرسة جدّه مدرسة (كربجنة) ٱلدينية فدرس ٱلعلوم ٱلعربية وٱلإسلامية على كبار علمائها منهم ٱلملا كاكا حمه سيف ٱلدين وٱلملا علي مصطفى ٱلملقب بعلي ليلان وٱلملا عبد الله عزيز ٱلكربجني .

ثم أن ٱلشيخ (قدس الله سره) لم يكتَفِ بذلك وإنما طوّر هذا ٱلخزين ٱلعلمي بكثرة ٱلمطالعة ٱلتي تعتبر همه ٱلأول . وللشيخ مكتبة علمية نادرة حوت آلاف ٱلكتب وٱلمخطوطات ٱلتي جمعها بمشقة كبيرة فقد واظبَ على مراجعة دار ٱلمخطوطات ومكتبة ٱلأوقاف ٱلعامة ومكتبة ٱلحضرة ٱلقادرية ٱلشريفة سبعة عشر عاما بصورة مستمرة يدخل ٱلمكتبة في بداية ٱلدوام ٱلرسمي ولا يخرج منها إِلّا في نهايته . إذن فعلمه ٱلصوفي وملكاته ٱلروحية بالإضافة إلى كونها فيضا ربانيا ، فإن ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان تعهدها بكثرة ٱلمجاهدات وٱلرياضات لسنين طويلة ، وأمّا علوم ٱلتصوّف ٱلنقلية فقد تعهدها بالدرس وٱلبحث ، وأكبر شاهد على ذلك هو ما تضمنه انجازه

الكبير (موسوعة الكسنـــزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان) ٱلـــتي تُعَـــدّ فريدة في بابها .

جلوسه على سجادة ٱلمشيخة :

إن ٱلجلوس على سجادة ٱلمشيخة في نظر أهل ٱلطريقة ، هو ٱختيار وتعيين علوي يجري بأمر ٱلله وأمر رسوله سيدنا محمد ﷺ ومن يتم ٱختياره لهذه ٱلمهمـــة ٱلمقدّســـة يكون دائما موضع نظرِ ٱلله ورعايته ، فيفيض عليه ما يفيض من أنوار ويُمِدُّهُ بما يشاء من مدد ليكون أهلا للوراثة ٱلمحمّدية وٱلقيام بمهامها من هداية ٱلناس إلى طريق ٱلحـــق وٱلإيمان وٱلدعوة إلى ٱلله بالحكمة وٱلموعظة ٱلحسنة وبث ٱلخير وٱلنور وٱلسلام بـــين ٱلخلق وٱلقيام بمهام ٱلأمر بالمعروف وٱلنهي عن ٱلمنكر ومهام ٱلتربية ٱلروحية للأتبـــاع وٱلمريدين .

وهكذا كان الأمر بالنسبة للشيخ (قدس الله سره) ، ففي آخر زيارة قـــام بهـــا حضرة ٱلسيد ٱلشيخ عبد ٱلكريم ٱلكسنـــزان (قدس الله سره) لأضـــرحة ٱلمـــشايخ ٱلكرام في قرية (كربجنة) كان ٱلسيد ٱلشيخ محمد (قدس الله سره) بصحبته وكان في تلك ٱلزيارة عدد كبير من ٱلخلفاء وٱلدراويش وٱلمحاسيب وٱلأتباع.

وبعد أن انتهى حضرة ٱلشيخ عبد ٱلكريم من مراسيم ٱلزيارة ، جلس وكانـــت علامات ٱلسرور تعلو وجهه ٱلكريم وقال : (يا أولادي ٱلدراويش منذ ٱليوم يكـــون ٱلسيد ٱلشيخ محمد شيخكم ، وهذا أمر أساتذتنا ، ومَن أطاعه فقد أطاعنـــا ، ومَـــن أحبه أحبنا ، ومَن خرج عن أمره فقد خرج عن أمرنا) ثم نظر ملتفتـــاً إلى أضـــرحة ٱلمشايخ قائلاً : (أنا أودعكم الآن وستكون هذه آخر زيارة لكم ، وهذا وكـــيلكم ٱلذي أوكلتموه – مشيراً إلى نجله ٱلشيخ محمد) .

كان هذا ٱلحدث إيذاناً بانتقال مشيخة ٱلطريقة من حضرة ٱلشيخ عبد ٱلكـــريم

(قدس الله سره) إلى حضرة ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان ، وتحقق ما أخبر به ٱلشيخ من أنها كانت آخر زيارة لآبائه وأجداده ، فقد ٱنتقل إلى ٱلرفيق ٱلأعلى في عام (1398 هـــ) ٱلموافق للعام (1978م) بعد زيارته ٱلأخيرة بفترة وجيزة ، وقد أرَّخ وفاتـــه ٱلـــشيخ محمّد عمر ٱلقره داغي (رحمه ٱلله) رئيس علماء ٱلسليمانية في مَرْثِيَّـــتِهِ بحقِّ ٱلـــشيخ عبد ٱلكريم (قدس الله سره) فقال :

وَفَـــاتُـــكُمْ كَـــارِثَـــةٌ عـــبـــدَ ٱلكريـــمْ

تَأْرِيخُكُمْ (فـــي جنة ٱلخُلْـــدِ ُقيـــمْ)

190 665 453 90

وكانت وفاته (قدس الله سره) فاجعة لأحبابه وخلفائه ومريديه وٱلمسلمين جميعاً لما كان يمتلك من شخصيةٍ ٱستطاعت أن تمثّـــل ٱلشخصية ٱلقيادية ببعديها ٱلروحـــي وٱلمادي ، وقد تسارع ٱلعلماءُ وٱلشعراءُ وٱلأدباءُ إلى رثائهِ وٱلثناءِ على مَنْ خَلَفَهُ وحلّ محلَّهُ نجلهِ ٱلسيد ٱلشيخ محمّد ٱلكسنـــزان (قدس الله سره) .

ونقتطفُ أبياتاً من قصيدةٍ في رثاء ٱلشيخ عبد ٱلكريم (قدس الله سره) قالها ٱلشيخ ٱلعـــــلامة عبد ٱلمجيد ٱلقـــطب (رحمه ٱلله) وهو علمٌ من أعلام علماء ٱلعراق ورئيس علماء كركوك مادحاً خَلَفَهُ ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان (قدس الله سره) :

غَابَ عَنْ أَنظارِ أربابِ ٱلوَفَـــا مُرْشِدٌ مِن أهلِ بيتِ ٱلمصطفى

سيِّـــدٌ عنْ سيدٍ عنْ سيـــــدٍ كُلُّهُمْ حَازُوا ٱلعُلا وٱلشَـــرَفَا

رَحَلَ ٱلشّيخُ وَقَـــدْ أورثـــــنا لوعـــةً في قلـــبنا وا أسَـــفَا

رَحَلَ ٱلشّيـــخُ نَعَـــمْ لكـــــنَّهُ أسداً خَـــلَّف ثُـــمَّ ٱنْصَـــرَفا

ذَهَبَ ٱلشّيخُ وأبْقَى بعـــدهُ ذهبـاً يَعْـرِفُهُ مَنْ عَـــرَفَا
لَمْ يَمُتْ شيخٌ تَجَلَّى بعـــدهُ مَنْ حَذَا حَـذْوَ أَبيهِ وَٱقْتَـفَى

وهكذا قام ٱلشيخ محمد ٱلكستزان (قدس الله سره) مقام والده ٱلشيخ عبد ٱلكريم (قدس الله سره) بعد ٱنتقاله إلى جوار ربه ، وتولّى أمور ٱلطريقة وٱلإرشاد ، وبايعه ٱلخلفاء وٱلدراويش أُستاذاً وأباً روحـياً سنة (1398هـ) ٱلموافـق (1978م) .

وذاع صيت ٱلشيخ محمد ٱلكستزان (قدس الله سره) وٱتسعت شهرته منذ ٱلبواكير ٱلأولى لمشيخته فأقبل ٱلناس عليه بمختلف فئاتهم ، وكان لصدق ٱلشيخ وإخلاصه مع ما ٱمتاز به من شخصيةٍ آسرةٍ جذّابةٍ وصبرٍ في ٱلدعوةِ إلى ٱلله سبباً في ٱنجذاب أعدادٍ كبيرةٍ من طلاب ٱلعلوم ٱلدينية وغيرهم من ٱلأطباء وٱلمهندسين وٱلمتخصصين في شتّى أنواع ٱلعلوم إليه .

وٱنتشرت ٱلطريقة ٱلكستزانية في جميع أنحاء ٱلعراق فلا تكاد تجد مدينةً أو قريةً إلّا وللشيخ محمد ٱلكستزان تكيةٌ يقصدها ٱلمريدون وٱلأتباع بل جاوز ذلك ٱلبلدان ٱلأخرى كإيران وتركيا وٱلجمهوريات ٱلقوقازية وٱلهند وباكستان وٱلولايات ٱلمتحدة ٱلأمريكية وبعض دول أوربا ممّا يدلّ على باع ٱلشيخ ٱلطويل في ٱلمعرفة وٱلتربية وٱلإرشاد .

وللشيخ محمد ٱلكستزان (قدس الله سره) كرامات كثيرة وكشوفات واضحة ، ولكنّه كان ولا يزال يُعرِض عن ذكرها ولا يسمح لأحد بالتحدثِ عنها ، ويحذّر ٱلمريدين من ٱلركون إلى ٱلكشف وٱلكرامة ، ويقرِّر أنَّ ٱلتصوف خصلتان هما ٱلاستقامة وٱلسكون وأن أعظم ٱلكرامات ٱلاستقامة على شرع ٱلله .

خلواته :

كان حضرة ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان (قدس الله سره) قد دخل عدة خلوات في

عهد والده ، وكذلك دخل خلوتين بعد توليه أمور ٱلطريقة وٱلمشيخة كانـــت الأولى في ٱلعشرين من شعبان سنة 1398 هـــ ٱلموافق 1978 م ، وقد صحبه عدد من ٱلدراويش وٱلخلفاء حيث جلس كل منهم في خلوته بعد أن تعلموا نظام ٱلخلوة وأورادها وآدابها من أستاذهم إثر محاضرة ألقاها ٱلشيخ قبل ٱلدخول إلى ٱلخلوة بنيَّـــة خالصة .

ودخل ٱلخلوة ٱلثانية سنة 1399 هـــ ٱلموافق 1979 م ، وصَحِبَه ضعف عدد ٱلدراويش الذين دخلوا معه ٱلخلوة ٱلأولى وطبّق عليهم نظام ٱلخلوة كاملاً وخرج كلّ واحدٍ منهم بنصيبه منها .

إنجازاته ٱلعلمية وٱلصوفية :

في مجال ٱلبحث وٱلتأليف وٱلإصدارات ٱلصوفية ، له ٱلعديد من ٱلمؤلفات، ٱلتي طبع منها :

1 – ٱلأنوار ٱلرحمانية في ٱلطريقة ٱلعلية ٱلقادرية ٱلكسنـــزانية .

2 – نشر كتاب : جلاء ٱلخاطر من كلام ٱلشيخ عبد ٱلقادر .

3 – كتاب ٱلطريقة ٱلعلية ٱلقادرية ٱلكسنـــزانية .

4 – موسوعة ٱلكسنـــزان فيما ٱصطلح عليه أهل ٱلتصوف وٱلعرفان.

وله عدد آخر من ٱلكتب وٱلرسائل تحت ٱلطبع منها :

- ألكرامات في طور جديد .
- ألكسنـــزان وٱلإنسان .
- ألتصوف .. قانون ٱلسماء ٱلأول .
- ألدعاء مخ ٱلعبادة .
- إطالة ٱلشعر في ٱلإسلام .

- ألسبحة في ٱلإسلام .
- ألخلوة في ٱلإسلام .
- ألتكايا بيوت الله .
- ألمولد ٱلنبوي وأهميته في ٱلعصر ٱلحديث .
- ألبيعة وٱلمعاهدة عند ٱلصوفية .

إنجازات علمية أُخرى :

إنَّ ٱلأسلوب ٱلحديث في ٱلتعليم يبدو أحيانًا نصوصًا مجردة من مضامينها ٱلأدبية ومدلولاتها ٱلخُلقية وإذا صار ٱلأمر كذلك يفقد ٱلعلم بذلك بهاءه وجماله وأثره وٱتساعه وإذا فُصل بين ٱلعلم وٱلأدب فمهما كان ٱلمخزون ٱلعلمي وٱلثراء ٱلمعرفي فإنك واجد ضعفًا شديدًا في أثر ٱلعلم على ٱلأخلاق وٱلسلوك وتزكية ٱلنفوس وصلاح ٱلقلوب ، ولا خير في علم ٱمرئ لم يُكسبه أدبًا ويُهذِّبه خُلقًا .

من هنا كانت علاقة ٱلأندماج وٱلتقارب بين ٱلعلم وٱلتصوف تكاد تكون ٱلحقيقة ٱلثابتة في ذات ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان (قدس الله سره) وجوهر طريقته ٱلصوفية ، فلا تكاد ترى أدنى فصل أو تباعد بين ٱلبحث ٱلعلمي وٱلتجربة ٱلصوفية عنده ، وكأنه يمسك بيديه ٱلكريمتين كفتي ٱلميزان على حد ٱلأَعتدال فلا يرجِّح كفةً على أخرى .

ويبدو ذلك واضحاً بجلاء في كل ٱلإنجازات ٱلتي يقدمها حضرة ٱلشيخ أو يسعى لتقديمها ، ومنها :

- تأسيسه (كلية ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان ٱلجامعة) ، وٱلتي تضم إلى جانب قسم علوم ٱلشريعة وٱلتصوف وحوار ٱلأديان ، أقسام أُخرى في علوم ٱلإقتصاد وٱلسياسة وٱلقانون وٱللغة وعلوم ٱلحاسبات وٱلرياضيات ٱلتطبيقية ، وهو بلا شك

إنجاز يظهر مدى تفاعل ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان (قدس الله سره) مع متطلبات ٱلعصر الذي يعيش فيه وتفاعله معه بالوسائل ٱلعصرية ٱلتي تناسبه .

وهذه ٱلكلية ٱلعلمية ٱلإنسانية هي بمثابة نواةٍ لجامعة كبرى يكون لها فـــروع في جميع دول ٱلعالم ٱلمتحضّر كما يأمل ٱلشيخ .

• إنجازه لتقويمٍ ٱسلاميّ رائدٍ ، نأمل أَن يُكتب له ٱلقبول وٱلأنتشار لما فيه مـــن أطروحة علمية دقيقة في ٱلحسابات مستندة إلى علم ٱلفلك .

هذا التقويم هو (ٱلتقويم ٱلمحمدي) ، وهو تقويم يؤرخ للأحداث نسبة لـــولادة حضرة ٱلرسول ٱلأعظم ، وذلك كمظهر إِحتفائي دائمي بذكرى ٱلظهور ٱلمحمـــدي ٱلمجيد ، فيكون عملا يقدس ويعظم ويبجل حضرة ٱلرسول ٱلكريم ، إضـــافة إلى أنـــه يُقدّم فائدة كبيرة لدارسي ٱلتاريخ ٱلإسلامي ، لأنه يُؤرّخ ٱلأحداث نسبةً إلى ٱلبدايـــة ٱلحقيقة للتأريخ ٱلإسلاميّ ، فهو بمثابة ٱلحلّ ٱلمثالي للعديد من ٱلمـــشاكل وٱلعقبـــات في دراسة هذا ٱلتأريخ [1] ، وان هذا ٱلتقويم ٱلمبارك لا يُلغي ٱلتقـــويم ٱلهجـــري بـــل هو ٱمتدادٌ لهُ .

• تأسيس (ٱلمجلس ٱلمركزي للطرق ٱلصوفية في ٱلعراق) في وقت بانـــت فيـــه بوادر تمزيق وحدة ٱلعراق ، وتشتيت كلمة ٱلمسلمين ، فجاء هذا ٱلمجلس ليوحِّد كلمة ٱلصوفية في ٱلعراق ، لغرض ٱلنهوض بواجبهم تُجاه ربّهم ودينهم ووطنهم على أكمل وجهٍ ، كما يهدف هذا ٱلمجلس إلى فتح قناةٍ للحوار وٱلتعارف مع بقيـــة ٱلتجمعـــات وٱلمجالس وٱلطرق وأفراد ٱلصوفية في ٱلعالم لغرض ٱلقيام بنفس ٱلواجب تُجاه ٱلعـــالم ككل ، ولتوحيد ٱلكلمة ضد كلٍّ مَن يحاول ٱلمساس بحرمة مقدسات ٱلمسلمين بشكل عام وٱلصوفية بشكل خاص .

---

1 – للإطلاع على منافع هذا التقويم في دراسة التاريخ الإسلامي بالإمكان الرجوع إلى الدراسة الخاصة بهذا الشأن .

ويطمح ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان (قدس الله سره) إلى أن يجد هذا ٱلمجلس صداه في قلوب وعقول ٱلصوفية في ٱلعالم ، ليجتمعوا على تكوين مجلس مركزي عالمي للتـــصوف ٱلإسلامي يكون له فروع رئيسية في كل دوله من دول ٱلعالم ، لينهضوا مجتمعين بمهـــامهم ٱلأساسية كدعاةٍ روحيِّين ، تُجاه ٱلمتغيرات ٱلعالمية على أكمل وجهٍ وبالصورة ٱللائقـــة ٱلمشرّفة لحمل راية ٱلخير وٱلسلام وٱلمحبة بين شعوب ٱلعالم أجمع .

• موقع ٱلتصوف ٱلإسلامي (www.islamic-sufism.com) ، وهو نافذة عصرية يطلّ من خلالها توجه ٱلسيد ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان على ٱلعالم بأسلوب صـــوفي معاصر غير مسبوق ، ليعكس ٱلجوانب ٱلمشرقة وٱلأنفتاحية للتصوف ٱلإسلامي علـــى ٱلآخرين .

فقد تم في هذا ٱلموقع مراعاة ٱلأخذ بأحدث ٱلبرامج ٱلإلكـــــترونية ، وأحدث ٱلتصميمات ٱلجميلة ، مع بقاء عنصر ٱلأصـــالة حاضراً ، هذا من ٱلناحية ٱلفنية وأمّا من ٱلناحية ٱلفكرية ، فقد أَخذ ٱلموقع طابع ٱلشمولية ولغة ٱلحوار ٱلمتمدن كخطـــوة أساسية في هذا ٱلعصر لردم ٱلهوة ، وتقريب ٱلمسافة مع ٱلآخر .

وقد فتح ٱلموقع أبوابه لجميع ٱلمشاركات وإبداء ٱلآراء وٱلتعـــارف بـــين جميـــع ٱلصوفية على ٱختلاف طرقهم وتنوع مشاربهم ، كما فتح أبوابه لجميـــع ٱلمفكّـــرين ٱلإسلاميِّين ٱلذين يهدفون إلى ٱلارتقاء بالفكر ٱلإسلامي إلى ٱلمستوى ٱلحضاري ٱلذي ينبغي له أَن يكون فيه ، بالنشر وٱلتعليق وتلاقح ٱلأفكار وٱلرُّؤى .

ومن ٱلمؤمَّل أَن يفتح ٱلموقع بابه أَمام ٱللغات ٱلرئيسة في ٱلعـــالم ، وأَن يـــستقبل ٱلبحوث وٱلدراسات وٱلمقالات ٱلتي تعمق وتوطد ٱلعلاقة ٱلفكرية وٱلثقافية وٱلعلميـــة بين ٱلمسلمين وغيرهم .

• موقع ٱلطريقة ٱلعليَّة ٱلقادريَّــة ٱلكـــسنــزانيَّة (www.kasnazan.com) ، وهو موقع متخصِّص بنهج وأُسلوب ومبادئ ٱلطريقة ٱلعليَّة ٱلقادريَّة ٱلكـــسنــزانيَّة ، وهو بمثابة ٱللسان ٱلناطق عنها للعالم ، وٱلصورة ٱلمعبّرة عن جوهرها ومضمونها .

• تأسيس (ٱلمركز ٱلعالميّ للتّصوّف وٱلدِّراسات ٱلرّوحية) وهو مركز أَسَّـــسَهُ ٱلسيد ٱلشيخ محمّد ٱلكسنزان في عـــام (1415 هــــــ) ٱلموافـــق (1994 م) ، ويتخصَّصُ هذا ٱلمركز في ٱلبحث في حالات ٱلـــشّفاء ٱلفـــوري ٱلخاصـــة بخـــوارق وكرامات ٱلطريقة ٱلتي تُثْبِتُ وجودَ ٱلذَّات ٱلإلهية وٱلمقارنة بين هذهِ ٱلخوارق من جهةٍ وبين ٱلظواهر ٱلباراسايكولوجية من جهةٍ أُخرى وإثبات فشل ٱلأخيرة أمام خـــوارق ٱلطريقة ، إضافة إلى دراسات أُخرى يتم بحثها في هذا ٱلمركز على أيـــدي بـــاحثين متخصصين .

المصادر

- القرآن الكريم
- الإسلام والصحة النفسية - احمد القبانجي -الناشر مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - سلسلة معرفة النفس - مطبعة السرور - قم - ط1 - 2002م .
- أصول علم النفس - د. عزت راجح .
- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية - البزاز- تحقيق زهير الشاويش - المكتب الإسلامي .
- الأوتار الفائقة نظرية كل شيء - بول ديفيس - جوليان براون - سنة 1997 .
- الباراسايكلوجيا ظواهر وتفسيرات - سامي احمد الموصلي - دار الحرية للطباعة والنشر - بغداد - 1988 .
- التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية - محمد عز الدين توفيق - دار السلام للطباعة والنشر - القاهرة - ط2 - 2002 م .
- التصوف والباراسايكلوجيا - د. عبد الستار عز الدين الراوي – المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ط1 - 1994 .
- تهذيب الأخلاق - مسكويه .
- جامع كرامات الأولياء - الشيخ يوسف النبهان - دار صادر - بيروت .
- خارقية الإنسان الباراسايكلوجي من المنظور العلمي - د. صلاح الجابري - الناشر الأوائل - سورية - دمشق - ط1 - 2004 م.
- خوارق اللاشعور أو أسرار الشخصية الناجحة - د. علي الوردي - الوراق للنشر - لندن - ط2 - 1996 .

- الدين عند الرومان والأغريق والمسيحية - أبكار سقاف - سلسلة نحو آفاق أوسع .
- شرح الشيخ عبد الرزاق القاشاني على فصوص الحكم للشيخ محي الدين ابن عربي - المطبعة الميمنية - مصر - 1321 هـ .
- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى - القاضي عياض - المكتبة التجارية الكبرى - 1391 هـ
- صحيح البخاري - دار ابن كثير - اليمامة - بيروت - 1407 - 1987 الطبعة الثالثة - تحقيق : د. مصطفى ديب البغا
- صحيح مسلم - دار إحياء التراث العربي - بيروت -تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .
- الطريقة العلية القادرية الكسنزانية - السيد الشيخ محمد الكسنزان الحسيني .
- عالم الأرواح - محمد عبد الهادي - دار العلم للملايين - ط1 .
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان- ابن تيمية
- فيض القدير شرح الجامع الصغير عبد الرؤوف المناوي - مصر - المكتبة التجارية الكبرى - الطبعة الأولى - سنة 1356 هـ .
- المساجد التاريخية الكبرى - د . يوسف فرحات - دار الشمال للطباعة - طرابلس - لبنان ط1 - 1993 .
- مصنف بن ابي شيبة - مكتبة الرشد - الرياض - 1409- الطبعة الأولى - تحقيق : كمال يوسف الحوت .
- المعجزات الاحمدية - سعيد النورسي - ط2 - 1990 .

- الممارسات الأيدلوجية - ريمون روّية .
- الموسوعة الصوفية - د. عبد المنعم الحفني - مكتبة مدبولي - القاهرة - ط1 - 2003 م.
- النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة - الأنطاكي .

- aderk1981،hall et al 1992 ، levitan 1991 .
- Henry، J، L، (1982)، Possible Involement of Endorphins in Altered States of Consciousness ، Ethos، 10(4)
- Joad ، Guide To Modern، Thonght .
- Motoyama & Brown: Op .
- palmer 1986.
- warner – 1986 .
- www.bintnet.com .

الفهرس

هذا الكتاب

دراسة مقارنة حول الشفاء الإعجازي
ونظرية الطب الشامل في الطريقة الكسنزانية

سلسلة إصدارات الطريقة الكسنزانية

تهدف هذه السلسلة إلى الكشف عن حقائق الطريقة وأسسها الشرعية وعلاقتها بالواقع المعاصر وإمكانية تحقيقها للتوازن بين الروح والمادة ، الأمر الذي يعد الحلقة المفقودة عند الكثير من المسلمين وغير المسلمين .

وهي تعتمد بشكل أساسي بعد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على آراء حضرة السيد الشيخ محمد الكسنزان الحسيني (قدس الله سره) رئيس الطريقة الحاضر ، والتي يلقيها في حلقات درسه ومجالس وعظه وأرشاده المستمر أينما حلّ وارتحل .